يهدى ولا يباع
طبع على نفقة بعض المحسنين

وَصِيَّةٌ مُخْلِصٌ وَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ

مَعَالِمُ الهِدايةِ فِي وَصِيَّةِ إِمَامِ الفِرقَةِ النَّاجِيَةِ

أَمْلاَهَا الإِمَام المُجَدِّد وَشَيْخ الإِسْلاَمْ المُسَدَّد

مُحَمَّد نَاصِر الدِّين الأَلْبَانِي

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَأَسْكَنَهُ بُحبُوحَة الجَنَّة

ضَبَطَهَا وَشَرَحَهَا تِلمِيذُه

سَلِيم بْن عِيد الهِلاَلِي

عَفَا اللهُ عَنْهُ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِه

أكاديمية البلاغ المبين للعلوم الشرعية
www.balaagh.net

وَصِيَّةُ مُخْلِصٍ
وَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ

مَعَالِمُ الهِدايةِ فِي وَصِيَّةِ إِمَامِ الفِرقَةِ النَّاجِيَةِ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

(١٤٤٧هـ- ٢٠٢٦نصرانية)

منصة تعليمية تربوية دعوية متخصصة في دراسة علوم الشريعة دراسة منهجية تجمع بين نقاء المادة العلمية المتلقاة وصفائها والتأصيل المنهجي بتفصيل وتحليل ورسوخ.

كل ذلك بطريق واضح، وأسلوب سهل، وتقرير مميز.

بإشراف الشيخ سليم بن عيد الهلالي

وَصِيَّةُ مُحَاصٍ
وَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ

مَعَالِمُ الهِدايةِ فِيْ وَصِيَّةِ إِمَامِ الفِرقَةِ النَّاجِيَةِ

أَمْلاَهَا الإِمَام المُجَدِّد وَشَيْخ الإِسْلاَمْ المُسَدَّد

مُحَمَّد نَاصِر الدِّين الأَلْبَانِي

رَحِمَهُ الله تَعَالَى، وَأَسْكَنَهُ بَحْبُوحَة الجَنَّة

ضَبَطَهَا وَشَرَحَهَا

تِلمِيذُه

سَلِيم بْن عِيد الهِلاَلِي

عَفَا الله عَنْهُ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِه

أكاديمية البلاغ المبين للعلوم الشرعية

www.balaagh.net

به ثقتي، وعليه اعتمادي واستنادي

فاتحة القول

الحمد لله حمدًا كثيرًا يرضيه، والصلاة والسلام على من اجتمعت المحاسن واكتملت الفضائل فيه، وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن كل من تعلمت منه علمًا؛ فهو شيخك بلا مثنوية، وأنت تلميذه بلا ريب إن استقمت!

ولا شك أن حقوق كل من الشيخ والتلميذ كثيرة؛ لأن العلم رحم بين أهله: شيوخًا وطلابًا، ولهذا لابد من رعايته، والاهتمام به.

ومن ذلك: أن الشيوخ في العلم آباء في الدين، والطلاب أبناء؛ فكيف لا يقبح جهل الأنساب؟!

ومن هذا الباب؛ قال ﷺ: «إنما أنا لكم مثل الوالد؛ أعلمكم»[1].

وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني»[2].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٥) عن أهمية تراجم العلماء: «هم آباؤنا في العلم.. فحقهم علينا التوقير والتعظيم والاقتداء بهم،

---

(١) أخرجه أبو داود (٨)، والنسائي (٤٠)، وابن ماجه (٣١٣) من حديث أبي هريرة، وحسنه شيخنا الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٥١).

وحسن الظن».

وقال وهو يترجم لابن سريج: «وهو أحد أجدادنا في سلسلة الفقه»[١].

وقال عند ذكره لمسلم بن خالد الزنجي: «قلت: ومسلم أحد أجدادنا في سلسلة الفقه المتصلة منا إلى رسول الله ﷺ»[٢].

ومثله عن القاضي أبي الطيب الطبري[٣].

ومما قال عبد القادر بن علي الشافعي الإحسائي:

أفضل أستاذي على فضل والدي

وإن نالني من والدي المجد والشرف

فهذا مربي الروح والروح جوهر

وذاك مربي الجسم والجسم كالصدف

ومما ينسب إلى الإمام الشافعي:

أبي إذا عدَّد الناس فضله

وجِدتُ أُفضِّل فضل أستاذي عليه

فبين العالم والمتعلم أبوة علم دينية، ولحمة شرف علية؛ تؤيدها الولاية النبوية على المؤمنين؛ كما في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ

---

(١) «المجموع» (١/ ١٥٩).

(٢) «تهذيب السماء واللغات» (٢/ ٩٣).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢١٣).

مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦].

قال أبو حنيفة النعمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما صليت صلاة منذ مات حماد بن أبي سليمان؛ إلا استغفرت له مع والدي، وإني لاستغفر لمن تعلمت منه علمًا، أو علمته علمًا»[١].

وقال أبو يوسف القاضي تلميذ أبي حنيفة رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: «إني لأدعو لأبي حنيفة قبل أبوي، وسمعت أبا حنيفة؛ يقول: إني لأدعو لحماد مع والدي»[٢].

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-: وإني لأدعو لمشايخي عامة وشيخنا الإمام الألباني خاصة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وأستغفر لهم مع والديَّ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ في كل صلاة.

ومن حق العالم على طلابه أن يرثوه علميًّا، فالعلماء لم يورثوا إلا العلم؛ فواجب التلاميذ عظيم في نقل علم شيخهم، والذب عن عرضه ومنهجه ودعوته بالحق والصدق والعدل[٣]؛ وإلا ضيعوا شيخهم!!

ومما اشتهر عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: «الليث أفقه من مالك؛ إلا أن أصحابه لم يقوموا به»[٤].

وقد كان شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حريصًا على توجيه طلابه: أن

---

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٢١٨).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢١٩).

(٣) انظر كتبي: «تبيين كذب المفتري الجاني على الإمام الألباني»، و«الإمام الألباني في عيون أعلام العلماء وفحول الأدباء».

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ١٥٦)، وكذلك نقلت هذه الكلمة عن يحيى بن أبي كثير.

يتمسكوا بالمنهج السلفي الحق، ويحرصوا على الاستزادة من العلم النافع، والعمل به، والدعوة إلى الله على بصيرة؛ ومن ذلك:

وصيته الجامعة المهمة إلى عموم الأمة، وذلك في مجلس (٩٠٠) بتاريخ (١٣/ جمادى الآخرة/ ١٤١٩هجري – الموافق ٣/ ١٠/ ١٩٩٨شمسية)؛ أي: قبل وفاته بسنة[1]؛ حيث توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (يوم السبت ٢٢/ جمادى الآخرة/ ١٤٢٠ هجري – الموافق ٢/ ١٠/ ١٩٩٩ شمسية).

وقد تلقاها علماء أهل السنة والجماعة وطلاب العلم في العالم بالقبول، وحرصوا على نشرها وشرحها في دروسهم ومحاضراتهم، وتناقلها عموم المسلمين على جميع وسائل التواصل، ولذلك رأيت أن أشرحها شرحًا وجيزًا: مبينًا فوائدها، وذاكرًا مقاصدها، وسميته: «نصيحة مخلص وموعظة مودع»؛ لأن شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلالها ودع طلابه وتلاميذه ومحبيه بهذه الوصية النافعة؛ مستنًا بحديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المشهور.

وأصل هذا الشرح المختصر محاضرة ألقيتها في دار القرآن والسنة للعلوم الشرعية في كيغامبوني – دار السلام – تنزانيا في (١٠/ ربيع الأول/ ١٤٤٦هـ).

سائلًا الله عز وجل أن ينفع بهذا الشرح والبيان، ويكتب له القبول؛ كما كتب لأصله النفع والانتشار، وأن يدخر لنا ثواب ذلك ليوم الميعاد والتناد: ﴿يَوْمَ لَا

---

(١) ومما اشتهر بين العامة: أن هذه الوصية قالها شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو على فراش الموت؛ فغير صحيح، نعم كان مريضًا في وقت تسجيل هذه الوصية؛ لكن عاش بعدها سنة كاملة!

يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨و٨٩]، والله الموعد.

وكتبه حامدًا ومصليًا ومسلمًا

سليم بن عيد الهلالي

أبو أسامة

دار القرآن والسنة للعلوم الشرعية

كيغامبوني - دار السلام - تنزانيا

* * * * *
* * *
*

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا ها دي له.

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-:

أعلم يا متبعًا سنن الهدى، التي أوضح معالمها رسول الله ﷺ: أن هذه الخطبة التي بين يديك؛ هي: خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها لأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كما يعلمهم السورة من القرآن، والتي كان السلف الصالح رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يقدمونها بين دروسهم وكتبهم وخطبهم ومختلف شؤونهم.

وهي خطبة جزلة المباني، خصبة المعاني: كلماتها قليلة، وفوائدها جليلة، وقد عدَّها شيخ الإسلام ابن تيمية عقد نظام الإسلام والإيمان، وما ذلك؛ إلا لأنها اشتملت على معالم المنهج النبوي: في العقيدة، وتزكية النفوس، والتلقي والاستدلال:

فأما المنهج النبوي في العقيدة؛ ففي قوله ﷺ: «إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبد ورسوله».

وأما معالم المنهج النبوي في تزكية النفوس؛ ففي الآيات التي كان يتلوها رسول الله ﷺ في هذه الخطبة، ومدارها على التقوى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠و٧١].

وهذه الآيات حوت رصيدًا عظيمًا في تزكيه الأنفس:

فالأولى: بينت غاية التقوى؛ وهو: الله جل جلاله؛ لأنه أهل التقوى والمغفرة.

والثانية: وضحت حيثيات الأمر الباعث على التقوى؛ فهو الخالق الذي خلق عباده؛ ليعبدوه ويوحدوه: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومن ثم يتقوه، وهذا مجموع في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

والثالثة: فصلت ثمار تقوى الله في العقيدة وتزكية الأنفس والتلقي:

أما ثمار تقوى الله في العقيدة؛ فهي: القول السديد؛ وهو: التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

وأما في تزكية الانفس؛ فهي: تطهيرها من أدارنها وسخائمها؛ فتغدوا أعمالها

صالحة مستقيمة.

وأما في التلقي؛ فهي: طاعة الله ورسوله، وعدم الالتفات إلى غيرها، والتقدم بين يدي الله ورسوله.

وأما معالم المنهج النبوي في التلقي والاستدلال الذي تضمنته خطبة الحاجة؛ فهو: قوله ﷺ: «إن أحسن الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة في النار».

وبيان ذلك: أن كلام الله أحسن الكلام؛ فوجب أتباعه؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧و١٨].

وخير الهدى هدى محمد ﷺ؛ فوجب التمسك به، والعض عليه بالنواجذ؛ لأن الحق أحق أن يتبع؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥].

فإذا اعتصم العبد بالكتاب والسنة؛ فقد هدي إلى صراط مستقيم؛ الذي أظهر معالمه: الاتباع، واجتنب طريق الشر الذي أخبث معالمه: الابتداع.

والاتباع؛ هو: منهج السلف الصالح.

والابتداع؛ هو: منهج الخلف.

وصدق من قال:

كل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

وصدق الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني القائل:

وخير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعند هذا تعلم: أن خير الأمور السلفات على الهدى، وشر الأمور المحدثات البدائع، وأن الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة؛ هو: ما كان عليه خير القرون، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وقد كانوا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وأرشدنا إلى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم: يمرون أدلة الصفات على ظاهرها، ولا يتكلفون علم ما لا يعلمون، ولا يحرفون ولا يؤولون».[1]

* * * * *
* * *
*

(١) «الفتح الرباني» (١/ ٢٥٥).

قال شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وبعد: فوصيتي لكل مسلم على وجه الأرض؛ خاصة إخواننا الذين يشاركوننا في الانتماء إلى الدعوة السلفية المباركة: دعوة الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح.

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-:

التواصي بالحق والتواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة ميثاق إسلامي ومنهج نبوي؛ أخذه الله على جيل القدوة الأول، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ قال عز وجل: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨﴾ [البلد: ١٧و١٨].

والوصية التي تتمخض عن النصح كلمة جامعة؛ معناها: حب الخير للمنصوح له؛ فهي من وجيز الكلام، ولذلك جعلها رسول الله ﷺ الدين كله؛ فقال: ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

وما ذلك إلا؛ لأنها محصلة لعرض الدين؛ حيث تبرز من خلالها صورة الأمة المسلمة المرحومة ذات الكيان الخاص، والرابطة المنهجية المميزة، والوجهة

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

الموحدة.

الأمة التي تشعر بوجودها كما تشعر بواجبها، وتعرف حقيقة ماهي مقدمة عليه من السير بالبشرية على طريق الإيمان والعمل الصالح؛ فتتواصى فيما بينهما بما يعينها على النهوض بالإمامة الكبرى، والأمانة العظمى.

ولذلك؛ فالتواصي منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وقال عز وجل: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وكذلك أوصى خاتم الأنبياء ﷺ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهو يودعهم: عن عبدالرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر؛ قالا أتينا العرباض بن سارية – وهو ممن نزل فيه: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ – فسلمنا، وقلنا: أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين – فقال العرباض: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا؛ فوعظنا موعظة بليغة: ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب! فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع! فماذا تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًا؛ فإنه من يعش منكم بعدي؛ فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين: تمسكوا بها، وعضوا عليها

بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[١].

تقديم النصح لكل مسلم بايع عليه رسول الله ﷺ أصحاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: «بايعت رسول الله ﷺ على أقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»[٢].

لأن النصح لكل مسلم تذكير، وتشجيع، وإصلاح، وإشعار بالقربى في الهدف والغاية، والإخوة في العبء والأمانة؛ فهو حصيلة الاتجاهات الفردية كلها؛ حيث تتفاعل معًا؛ فتتضاعف أضعافًا كثيرة، ويقوي أمرها؛ فتستغلظ، وتستوي على سوقها؛ لتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها رجالًا: قد زكوا أنفسهم من حب أنفسهم، ونطقوا بالكتاب وبهم نطق الكتاب، وقاموا بالسنة وقامت بهم السنة.

والنصح لكل مسلم فريضة شرعية، وضرورة دعوية؛ لتتضاعف المقدرة على الثبات على الحق بما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف، ووحدة المسار، وتعاضد الجميع، وتزودهم بالحب والعزم والإصرار؛ فهو معيار تماسك الأمة المسلمة؛ فهي أعضاء متجاوبة الحس والشعور والالم تشعر شعورًا واحدًا: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم؛ مثل: الجسد إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وصححه شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

وأما قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**دعوة الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح**»:

فأقول: السلفية نسبة إلى السلف الصالح، والسلف الصالح؛ هم: الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ابتداءً، ومن اتبعهم بإحسان من الأئمة الذين يقتدى بهم كالأئمة الأربعة، وسفيان الثوري، والبخاري، وسفيان بن عيينة، وغيرهم من الأئمة الأجلاء الأعلام الذين شهد لهم بالإمامة في الدين والورع والتقوى.

فالسلفية بهذا الفهم: دعوة علمية منهجية تلقت العقيدة والمنهج الصحيحين من الكتاب والسنة، بفهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وأبرز خصائص أتباع هذه الدعوة السلفية:

التمسك بمنهج النقل الصحيح والعقل الصريح، ولهذا يعرف أتباعهم ب (السلفيين)، و(أهل الحديث)، و(أهل الأثر)، و(أهل السنة والجماعة)، و(الغرباء)؛ تمييزًا بينهم وبين من انسلخ من هذا المنهج السلفي العزيز من أهل الأهواء والبدع.

ولا ريب أن المنهج السلفي؛ هو: الذي يجب على كل مسلم اتباعه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا»[1].

الأدلة على صحة المنهج السلفي كثيرة جدًّا؛ نذكر منها:

١- قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٤٩).

هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

فجعل الله سبحانه إيمان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ معيارًا للقبول، وعلامة على الهداية، وجعل التولي عن ذلك دليلًا على الشقاق والضلال.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

وسبيل المؤمنين؛ هو: ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: قولًا وعملًا واعتقادًا ومنهجًا وسلوكًا وسياسة؛ ولذلك حرم الله الخروج عليه واتباع غيره، وتوعد من فعل ذلك بجهنم وبئس المصير ساءت مستقرًا ومقامًا.

٣- قوله عز وجل: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠]

أثنى الله على من اقتدى بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾؛ لأن الصحابة تلقوا الدين عن النبي ﷺ بلا واسطة: ففهموا مقاصده، وعاينوا أقواله، وسمعوا منه مشافهة مالم يحصل لمن بعدهم؛ فلا طريق لاتباع رسول الله ﷺ إلا طريقتهم.

وقد أحسن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ في وصف طريقة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وبيان كمال منهجهم؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قف حيث وقف القوم؛ فأنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى.

فلئن قلتم: حدث بعدهم؛ فما أحدثه إلا من خالف هديهم، ورغب عن

سنتهم، وقد وصفوا منه ما يشفى، وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر: لقد قصر عنهم قوم؛ فجفوا، وتجاوزهم آخرون؛ فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى صراط مستقيم»[1].

فقد قسم عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ حال الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إلى قسمين:

الأول: إنهم وقفوا على علم نافع؛ فهم أعلم الناس؛ لأنهم أحرى بالعلم من غيرهم، وما بعدهم ينقص العلم فيهم.

الآخر: ما كفوا عنه وسكتوا عنه؛ فإنما ببصر ثابت كفوا عما كفوا عنه، فلم يدخلوا في مسائل مما دخل فيها من بعدهم؛ لأجل عجزهم، بل لنفوذ بصرهم وبصيرتهم، وسمو إدراكهم، وعمق فهمهم، ونفع علمهم.

ولذلك؛ فكل ما كان عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ هو: الميزان القويم الذي توزن به الأفهام، وتوزن به الأحوال والأقوال والأعمال.

ولذلك؛ فمنهج الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ واجب الاتباع سواء أكان في العقيدة أم في الاحكام أم في السلوك أم في السياسة ونحو ذلك:

فما جاوز منهجهم؛ فهو غلو، وما قصر عنه؛ فهو تحسير وتقصير.

وبالجملة؛ فهذا كلام عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهج عام؛ اتبعه الأئمة الأعلام من أهل السنة والجماعة في كل أبواب الاعتقاد والعمل والسلوك.

ووجه شيخنا خطابة للمسلمين عامة، ثم خص السلفيين؛ لأن السلفيين هم

---

(١) وهذا صحيح مستفيض عن عمر بن عبد العزيز، وتلقاه أئمة العلم بالقبول والاستحسان، وهو معزو إلى أصل من أصول الحديث «سنن أبي داود» (٥/ ١٨٧-١٨٩- رواية ابن الأعرابي وابن داسة ط- دار القبلة).

حملة الإسلام والسنة والتوحيد والسلفية؛ فإن قصروا؛ فغيرهم بالتقصير أولى...

ولذلك أقول كلمة لله ثم للتاريخ:

أن السلفيين لو استكملوا أمرين؛ لكانوا هم قادة المسلمين في كل قطر حلوا فيه، وفي كل زمان كانوا فيه.

١- أن يحرصوا أن يكون عملهم ودعوتهم لله عز وجل، وينقوها من كل مطمع أو طامع يريد العلو في الأرض أو الإفساد فيها.

٢- أن يتركوا هذه الخلافات بينهم، ويكونوا صفًّا واحدًا مرصوصًا كالبنيان الشامخ، وكالجسد الواحد.

وإنما يقوى أنصار الباطل، ويزيدون علوًّا وفسادًا؛ كلما ضعف دعاة الحق، وتفرقوا، واختلفوا!!

* * * * *
* * *
*

قال شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أوصيهم ونفسي بتقوى الله تبارك وتعالى أولًا.

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-:

ابتدأ شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وصيته بالحض على التقوى والحث عليها، وذلك؛ لعدة أمور توجب ذلك:

١- أن تقوى الله غاية الغايات ومقصد النهايات: فقد خلقنا الله عز وجل لعبادته؛ فغاية خلق العبادة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات:٥٦].

ثم بين سبحانه وتعالى أن الحكمة من العبادة؛ هي: التقوى؛ فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

٢- ولذلك كانت التقوى هي وصيته الله عز وجل للأولين والآخرين: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].

٣- وكذلك كانت التقوى دائمًا وصية الرسول ﷺ في كل المناسبات:

- كما في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حينما وعظ النبي ﷺ أصحابه، فقالوا: كأنها موعظة مودع؛ فأوصنا؛ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع

والطاعة»[١].

- وأوصى أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أوصيك بتقوى الله؛ فإنه رأس الأمر كله»[٢].

وبمثلها أوصى أبا سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أوصيك بتقوى الله؛ فإنه رأس كل شيء»[٣].

وفي رواية: «عليك بتقوى الله؛ فإنها جماع كل خير»[٤].

٤- وقد أدرك السلف الصالح من الصحابة الأخيار، ومن تبعهم بإحسان من علماء الأمصار، في كل العصور القيمة الكبيرة لهذه الوصية؛ فصاروا يتواصون بها، ويوصون بها من بعدهم، وقد تواترت في ذلك الآثار:

- فكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يفتتح خطبه بها قائلًا: «أما بعد؛ فإني أوصيكم بتقوى الله...»، ولما حضرته الوفاة وعهد إلى عمر أوصاه؛ قائلًا: «اتق الله يا عمر»[٥].

وسار على هذا المنهج السوي سائر الخلفاء الراشدين.

٥- واكتسب الوصية بتقوى الله هذه المنزلة العالية الغالية؛ لأنها أم الوصايا؛ فما بعدها من الوصايا تفصيل لها... ومما يدل على ذلك: أن أعظم دعاء في القرآن

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٦).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٨-١٧٩)، وابن حبان (٣٦١)، وصححه شيخنا الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٥).

(٣) أخرجه أحمد (١٧/ ١٧٦)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٢٢)، وصححه شيخنا الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٦).

(٤) أخرجه أحمد (١٧/ ١٧٦)، والطبراني (١٧/ ١٢٢) وحسنه شيخنا الألباني.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٣٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٨٢) وسنده صحيح.

قوله تعالى في ختام سورة الفاتحة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] جاء الجواب عنه في فواتح سورة البقرة: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢]؛ أي: أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم؛ لكن هذه الهداية مقصورة على المتقين: فلا ينالها سواهم؛ ولا يظفر بها غيرهم.

وأصل التقوى صلاح القلب، ولذلك أضيفت له؛ كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

وأكد هذا المعنى رسول الله ﷺ بقوله – وهو يشير إلى صدره ثلاث مرات: «التقوى ها هنا»(١).

ومعنى ذلك: أن تقوى الله محلها القلب؛ لأن القلب في الصدر: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]؛ فإذا اتقى القلب اتقت الجوارح؛ كما قال ﷺ: «...ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت؛ صلح الجسد كله، وإذا فسدت؛ فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب»(٢).

فالقلب السليم والعمل الصالح محل نظر الله عز وجل؛ كما قال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(٣).

وكلمة العلماء متفقه على أن تقوى الله عز وجل تكون باتباع أمره، والانتهاء كما نهى عنه، وذلك بفعل المأمورات، وترك المنهيات والمحظورات.

* * * *

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم الاستزادة من العلم النافع؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾.

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-:

الوصية بالعلم النافع والاستزادة منه بعد التقوى؛ يجعلنا نتساءل: أيهما يجلب الآخر: التقوى أم العلم؟

واستدلال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بـ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:٢٨٢] يجعلك تعتقد أن التقوى تتقدم العلم، وليس الأمر كذلك!!

ولكن هل من تقوى دون علم؟

علم يحقق التقوى كي لا تكون عبادة ضلال وتقوى جهال!!

ولهذا لا بد من معرفة أركان التقوى؛ لنحدد موقع العلم النافع منها، ومن ثم تكون مرقاة لفهم الآية فهما سنيًّا صحيحًا.

أركان التقوى:

١- الإخلاص.

٢- الاتباع.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧].

هكذا في براءة الفطرة ترد الأمر إلى أصله ومحله، وفي إيمان يدرك أسباب

القبول، وفي توجيه رفيق يهدي إلى السبيل الذي يؤدي إلى القبول.

وإنما للحصر؛ أي: إنما يتقبل الله ممن اتقى الله في فعله لا في غيره.

«وعلى هذا تنازع الناس في قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: فعلى قول الخوارج والمعتزلة لا تقبل حسنة إلا ممن اتقاه مطلقًا؛ فلم يأت كبيرة.

وعند المرجئة؛ إنما تقبل ممن اتقى الشرك؛ فجعلوا أهل الكبائر داخلين في اسم (المتقين).

وعند أهل السنة والجماعة؛ يتقبل العمل لمن اتقى الله فيه؛ فعمله خالصًا لله، موافقًا لأمر الله.

فمن اتقاه في عمل؛ تقبله منه، وإن كان عاصيًا في غيره.

ومن لم يتقه فيه لم يتقبله منه، وإن كان مطيعًا في غيره»[1].

«والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد، ولها أصلان:

أحدهما: أن لا يعبد إلا الله.

الثاني: أن لا يعبد إلا بما أمر وشرع، ولا يعبده بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع.

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٢٢).

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:١١٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥].

وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله.

ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه.

وفي الثانية: أن محمدًا هو رسوله المبلغ عنه؛ فعلينا أن نصدق خبره، ونطيع أمره.

وقد بين لنا ما نعبد الله به، ونهانا عن محدثات الأمور، وأخبر أنها ضلالة»[1].

٣- العلم:

أكثر الناس لا يعلمون، ولو بدا في الظاهر أنهم علماء، وأنهم يعرفون الكثير؛ لأن علمهم سطحي يتعلق بظواهر الحياة، ولا يسبر غورها؛ ليعرف سننها الثابتة وقوانينها الأصلية، ويدرك نواميسها الكبرى وارتباطها الوثيق، ثم لا يتجاوزون هذا الظاهر، ولا يرون ببصيرتهم ما وراءه.

وظاهر الحياة محدود مهما بدا للناس واسعًا شاملًا يستغرق جهودهم بعضه، ولا يستقصونه في حياتهم المحدودة ولو اجتمعوا له.

والحياة كلها طرف صغير من ملكوت الله الهائل، الذي تحكمه نواميس مستكنة في كيانة وتركيبه.

---

(١) «العبودية» (ص٧٤ - ٧٦).

والذي لا يتصل قلبه بخالق هذا الوجود، ولا يشعر بسننه التي لن تجد لها تبديلًا ولا تحويلًا؛ يظل ينظر وكأنه لا يرى، ويبصر الشكل الظاهر والحركة الدائرة، ولكن لا يدرك حكمته، ولا يعي بها ومعها، وأكثر الناس كذلك.

إن المعرفة الحقة تمنح صاحبها صفاء يفتح البصيرة، ويمنح القلب نعمة الرؤية؛ لأنها العلم الحق الذي يدرك الحق، فهو اتصال بالحقائق الثابتة، وليس التقاط للمعلومات المفردة المنقطعة التي تزدحم في الذهن، ولا تمتد وراء الظواهر المحسوسة، فتلد مسخًا من القيم والتصورات.

إن الذي لا يدرك اللب ويعرف، ولا ينتفع بما يرى وما يسمع وما يجرب، ولا ينتهي إلى حقائق ثابتة من وراء المشاهدات والتجارب... إنهم جامعو معلومات وليسوا بعلماء.

وقد وصفهم الخبير بهم، فقال: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ [الروم: ٦و٧].

وهذا العلم المبتوت عن غايته وثمرته أخو الجهل؛ لأنه يتمخض عن ركام مشوه من السلوك السيئ.

ولذلك؛ فإن الإسلام يقدم العلم عقيدة دافعة محيية موقظة رافعة مستعلية؛ تدفع إلى الإيمان والعمل الصالح؛ لتحقيق مقتضاهما الذي يحيى به القلب؛ فيخشع لمولاه الحق، ويفيض بحبه، فتستيقظ الجوارح؛ فترجع إلى فطرتها الأولى، فتسمو الغاية، ويرتفع القصد، فيثمر التقوى لله عزوجل؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الحج: ٥٤].

ومما يؤكد أن العلم ركن من أركان التقوى:

١- قرن الله سبحانه وتعالى تزكيه النفوس التي بعث من أجلها محمد ﷺ مع تعليم الكتاب والحكمة؛ كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢].

٢- قرن رسول الله ﷺ العلم بالتقوى؛ فقال في حديث النفر الثلاثة الذين جاؤوا إلى بيوت النبي ﷺ، وسألوا عن عبادته وتقالوها: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له»[1].

٣- قرن الله سبحانه الهدى بالتقوى في مواطن من كتابه:

فقال في فواتح سورة البقرة: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ثم ذكر صفاتهم وختمها: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

وقال: ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ ﴾ [العلق:١١و١٢].

وبذلك يتبين: أن الهدى أصل التقوى، والهدى معرفة الهدى بدليله من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح والإجماع.

ولذلك؛ فلن تستقر التقوى في القلب إلا وهو على هدى من ربه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد:١٧].

وقد جمعت أركان التقوى في تعريف طلق بن حبيب العنزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فعن بكر المزني؛ قال: لما كانت فتنة ابن الأشعث؛ قال طلق بن حبيب: اتقوها

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

بالتقوى! فقيل: صف لنا التقوى. فقال: «العمل بطاعة الله، على نور من الله؛ رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله، على نور من الله؛ مخافة عذاب الله».

وعلق الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه الكلمة المضيئة فقال: «أبدع وأوجز؛ فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بتروٍّ من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله».(١)

وإذا كان الأمر كذلك؛ فالعلم هنا شرط في تحقيق التقوى، وهذا العلم هو علوم الكتاب والسنة بفهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

لكن هناك ثمة علم آخر تثمره التقوى، ويقتضيه وجودها في القلب، وقد أشار إليه القرآن الكريم في عدة مواضع؛ منها:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحديد: ٢٨].

وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

فهذا العلم الذي تثمره التقوى؛ هو: الفهم الذي يؤتيه الله لعبده، وهو نور مبين ينظر به العبد؛ وفرقان بين الحق والباطل، والتوحيد والشرك، والسنة

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦٠١).

والبدعة، وسبيل المؤمنين وسبيل المجرمين.

فالعلم والتقوى بينهما تلازم.

وكذلك التقوى من أسباب زيادة العلم، وهذا ما نبه عليه شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصيته النافعة؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢و٣]، وهذا الرزق الذي سببه التقوى يشمل العلم وغيره، ولذلك تقوى الله من أعظم أسباب زيادة العلم.

وقد زعم المتصوفة: أن هذا هو العلم اللدني الذي أعطاه الله عز وجل للخضر عليه السلام؛ كما قال: ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ [الكهف:٦٥].

وفسروا العلم اللدني بالكشف والإلهام والذوق والوجد، وهذا مردود من وجوه؛ منها:

١- أن المقطوع به أن الحضر عليه الصلاة والسلام نبي يوحى إليه.

٢- أن هذا في شريعة غير شريعتنا، أما شريعتنا: فلا ينبغي لأحد أن يختار غيرهما، أو أن يتعلم غيرها، أو أن يدعى أنه مع رسول الله ﷺ كالحضر موسى عليهما الصلاة والسلام؛ فهذا كفر صراح وشرك بواح؛ لأنه لو كان موسى عليه السلام حيًّا ما وسعه إلا اتباع محمد ﷺ.

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؛ فمردود من وجوه؛ منها:

١- أن الواو في قوله: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ﴾ ليست للعطف، وإنما للاستئناف؛ فمعنى الآية: «اتقوا الله وخافوا الله أيها المتداينون في الكتاب والشهود أن تضاروهم، وفي غير ذلك من حدود الله أن تضيعوه، ويعني بقوله:

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾: ويبين لكم الواجب لكم وعليكم؛ فاعملوا به»[١].

٢- لقد بين الرسول ﷺ طريق طلب العلم الشرعي فقال: «إنما العلم بالتعلم..»[٢].

وإنما للحصر؛ ومعنى ذلك: أن لا طريق للحصول على العلم إلا بالتعلم، والتعلم يقتضي بذل الجهد، وتعاطي الأسباب في طلب العلم وتحصيله.

ويزداد هذا الأمر وضوحًا بأمرين:

أ- أن رسول الله ﷺ قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٣].

فجعل رسول الله ﷺ الطلب فرضًا عينيًا.

ب- هذا الطلب لا بد له من طريق يسلكه طالب العلم، ولذلك قال ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا؛ سهل الله له به طريقًا إلى الجنة»[٤].

٣- قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾.[٥]

وهذا هو الفهم الصائب والنظر الثاقب الذي أشار إليه علي بن أبي طالب

---

(١) «جامع البيان في تفسير القرآن» (٣/ ٩١).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٧٧/ ٨٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٦٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٩٥/ ١٠٢٦٣)، وحسنه الألباني بشواهده.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٥) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٤٤)، وانظر «الجامع لأحكام القرآن» (٣/ ٤٠٦).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ما سأله أبو جحيفة السوائي: هل عندكم كتاب؟

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا؛ إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة»، قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: «العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر»[1].

فهؤلاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ طلبوا العلم، وجدُّوا في تحصيله، ورووه؛ فآتاهم الله فهمًا، وهم أئمة المتقين: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]؛ فكل تقي نقي يأتم بهم، والتقوى واجبة كما علمت؛ فعلم أن الائتمام بهم واجب، والعنود عن سبيلهم مظنة الفتنة والمحنة.

* * * * *
* * *
*

(١) أخرجه البخاري (١١١).

قال شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأن يقرنوا مع علمهم الصالح الذي هو عندنا جميعًا لا يخرج عن كونه كتاب وسنة وعلى منهج السلف الصالح.

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-:

مفهوم العلم النافع عند السلف الصالح واسع يشمل كل علم ينتفع به المسلم في نفسه أو يتعدى نفعه إلى المسلمين، ولو كان من العلوم الدنيوية، ولم يكن من العلوم الشرعية المحضة؛ لقوله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[(١)].

ولقوله ﷺ: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علمًا»[(٢)].

قال الصنعاني: «فيه: أن العلم إنما يطلب منه النافع، فأما ما لا ينفع فلا يطلب، والنافع ما يتعلق بأمر الدين والدنيا فيما يعود نفعه إلى أمر الدين»[(٣)].

فدل هذا على أن كل علم مباح يفيد الإنسان في نفسه، أو يفيد المسلمين من ورائه؛ فهو مرغوب تعلمه، مأجور عليه، وهو مما يرجى أن يرفع الله به درجات عبده.

ولا شك أن أفضل العلوم هو العلم المفروض عينًا على كل مسلم؛ كتوحيد

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٩٩)، وابن ماجه (٣٨٣٣)، وأحمد (٢١/ ٢٥٧)، وصححه شيخنا الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) «سبل السلام» (١/ ٢٥).

الله عز وجل، ومعرفه محمد ﷺ وسبل اتباعه، وتعلم أحكام الصلاة والطهارة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك عند ما يطلب من العبد فعلها؛ فهذا هو ميراث الأنبياء.

ثم العلوم التي ينتفع بها الناس في أمورهم الدنيوية؛ فتعلمها من فروض الكفاية التي يؤجر من قام بها إذا قصد بها إرضاء الله، وابتغاء وجهه الكريم؛ لينفع بها الأمة، ويرفع من شأنها، كعلوم الطب والهندسة والفيزياء والكمياء والمعلوماتية...

وهذه العلوم إذا قصد بها نصرة الإسلام ونفع المسلمين كانت عبادة؛ لأنها فروض كفاية يجب أن يتخصص فيها بعض المسلمين؛ لأن تركها بالكلية تضيع مصالح الناس، ويقعون في ضرر ومشقة، ويتحكم بهم الكفار.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلم علمان: علم الدين وعلم الدنيا:

فالعلم الذي للدين؛ هو: الفقه.

والعلم الذي للدنيا؛ هو: الطب»[1].

وقال -أيضًا-: «لا تسكن بلدًا لا يكون فيها عالم يفتيك عن دينك، ولا طبيب ينبئك عن أمر بدنك»[2].

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتلهف على ما ضيع المسلمون من الطب، ويقول: «ضيعوا ثلث العلم، ووكلوه إلى اليهود والنصارى»[3].

---

(١) «آداب الشافعي ومناقبه» لابن أبي حاتم (ص٢٤٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٧).

وقال: «لا أعلم علمًا بعد الحلال والحرام أنبل من الطب؛ إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه»[١].

* * * * *
* * *
*

(١) المصدر السابق.

قال شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأن يقرنوا مع علمهم هذا والاستزادة منه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا العمل بهذا العلم حتى لا يكون حجة عليهم، وإنما يكون حجة لهم: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-:

وفي كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة مسائل:

الأولى: الاستزادة من العلم:

وهذا مطلب شرعي يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وفيها وقفات:

١- لم يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يطلب الزيادة في شيء سوى العلم؛ فبه تنال السيادة والحسنى وزيادة.

٢- إذا أردت أن يفتح الله عليك أبواب العلم، ويأتيك أسباب الفهم؛ فأكثر من هذا الدعاء: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾.

٣- فيها دلالة واضحة أن طلب العلم يكون بالقرآن والسنة أولًا.

٤- أدب لطالب العلم أن يتأنى في تدبر القرآن حفظًا وتلاوة وفهمًا، ويتأمل علومه، ولا يستعجل سائلًا الله: الزيادة والتفهيم والتسهيل؛ فالقرآن مفتاح كل العلوم، ومرقاة لخير الفهوم.

٥- طالب العلم بعيد عن الغرور؛ فلا يرى لنفسه فضلًا ولا حظًا ولا يحتقر

ذا فضل، ولا يزدري ذا نعمة؛ لأنه يعلم أن ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦].

٦- استعمال (رب) في هذا الدعاء دال على أهمية التربية والتزكية في حياة طالب العلم، وأن ذلك من بركة العلم، ومما يؤكد هذه الأهمية اقتران التزكية بعلوم الكتاب والسنة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ ﴾ [الجمعة:٢].

٧- قال السبكي: «وقد آتى الله داود وسليمان عليهما السلام نعيم الدنيا والآخرة جميعًا، وَمَنَّ عليهما بهما، وكذلك كثير من عباده الصالحين، فلا ينافي التوسع في الدنيا كون الإنسان من أهل الفضل إذا شكر الله، ولم تشغله الدنيا عن الآخرة، بل قد يكون ذلك من نعم الله عليه؛ فإن العلم الأصل في النعيم كلها»[1].

٨- فيه حث لطالب العلم على الاستمرار في الطلب، وأن العلم من المحبرة إلى المقبرة: قائلًا بنفسه في نفسه ولنفسه: لعل الكلمة التي فيها نجاتي لم أسمعها بعد.

٩- يؤخذ من هذه الآية الأدب في طلب العلم، وأنه ينبغي على طالب العلم أن يتحلى بالتأني والتدرج والصبر؛ فلا يقاطع شيخه، ولا يبادره بسؤال حتى ينهى درسه.

١٠- زيادة العلم حياة ثانية؛ فأهل العلم هم الأحياء وسائر الناس أموات:

---

(١) «فتاويه» (١/ ١٧٨-١٧٩).

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

العلم يجلو العمى عن صاحبه كما يجلى سواد الظلمة القمر

لا ينفع الذكر قلبًا قاسيًا وهل يلين لقول واعظ الحجر

الثانية: علاقة الاستزادة من العلم بالعمل:

١- العمل من أسباب ثبات العلم ودوامه، ولذلك قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلم يهتف بالعمل؛ فإن أجابه، وإلا ارتحل»[1].

٢- العلم بلا عمل لا ينفع ولا يرفع؛ لو كان العلم ينفع بلا عمل؛ لما ذم الله سبحانه أحبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بلا علم لما ذم الله المنافقين.

فالعلم والعمل قرينان لا ينفع أحدهما إلا بصاحبه.

ولذلك مثل: فالأموال لا تنفع إلا بإنفاقها، وكذلك العلوم لا تنفع إلا لمن عمل بها.

الثالثة: اقتضاء العلم العمل:

١- لا قيمة للعلم بلا عمل: فالذي يحفظ ويتعلم ويتفقه؛ لكنه لا يعمل بهذا العلم؛ فليس مما أراد الله به خيرًا، بل سيكون هذا العلم حجة عليه، وسببًا في

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٧٠٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٣)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٣٤)، و«الفقيه والمتفقه» (٢/ ٨٩)، و«اقتضاء العلم العمل» (١٩) وهو ثابت صحيح تناقله العلماء في مصنفاتهم مقرين له.

هلاكه، وقد قرر هذه المعاني جملة من أهل العلم: كابن قيم الجوزية[١]، والشاطبي[٢]، وابن جماعة[٣].

٢- لأن العلم ليس بمجرد صورته هو النافع، بل بمعناه، وإنما معناه ينال من تعلمه للعمل به؛ فكلما دله على فضل اجتهد في نيله، وكلما نهاه عن نقص بالغ في مباعدته؛ فعندئذ يكشف له العلم عن سره وعن كنزه.

ولذلك صور أهل العلم العلم شجرة، والعمل ثمرة، وفائدة الثمرة استعمالها لا إهمالها، فليس عالمًا من لم يعمل بعلمه؛ لأن مراد العمل النجاة؛ فإن قصر العمل عن العلم كان العلم كلًّا على صاحبه، وأورثه ذلًّا، وصار في رقبته غلًّا.

٣- والحاصل أن الناس في هذا الباب أربعة أقسام:

القسم الأول: من رزق علمًا وأعين بقوة العزيمة العمل به، وهم خير البرية، ومراد الحق في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾.

القسم الثاني: من حرمهما معًا؛ فهم شر البرية شر من الدواب:

﴿ * إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٢٣ ﴾ [الأنفال: ٢٢و٢٣]: يضيقون الديار، ويغلون الأسعار، وعند أنفسهم أنهم يعلمون: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ [الروم: ٧].

---

(١) «الفوائد» (ص١٠١).

(٢) «الموافقات» (١/ ٨٣)

(٣) «تذكره السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم» (ص٤٥).

وصدق البحتري:

لم يسبق من جل هذا الناس باقيه ينالهـا الوهم إلا هـذه الصـور

الثالث: من فتح عليه باب العلم، وأغلق عليه باب العمل؛ فهذا في رتبة الجاهل بل هو شر منه؛ لأن جهله وعمله سواء، بل ربما كان جهله أخف لعذابه من علمه؛ فما زاده علمه إلا وبالًا، مع عدم الطمع في صلاحه، بخلاف الجاهل التائه عن الطريق؛ فإنه يرجى به العود إليها إذا أبصرها، أما من رآها وحاد عنها؛ فمتى ترجى هدايته؟

الرابع: من رزق حظًا من العمل، لكن قل نصيبه من العلم، فهذا إذا وافق له اقتداء بداع من الدعاة إلى الله ورسوله كان من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾ [النساء: ٦٩].

لذا كان لزامًا على من سار في طريق العلم أن يصطحب معه العمل؛ ليصلا سويًّا إلى جنات النعيم.

وبالجملة؛ فلا بد من العلم قبل القول والعمل؛ لأن العلم النافع؛ هو: الذي يحمل صاحبه على العمل... فأين المفر؟ لا بد من العلم وحضور مجالس العلم والاستزادة من العلم، لكن لا بد من العمل؛ وفي حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال ﷺ: «والقرآن حجة لك، أو عليك، كل الناس يغدو: فبائع نفسه؛ فمعتقها أو موبقها»[1].

* * * *

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

قال شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أحذرهم من مشاركة الكثيرين ممن خرجوا عن الخط السلفي بأمور كثيرة وكثيرة جدًّا: يجمعها كلمة الخروج على المسلمين، وعلى جماعاتهم.

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-:

وفي كلام شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة مسائل:

الأولى: ضابط الخروج على المنهج السلفي:

قال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شريط٨٤٨-سلسلة الهدى والنور»: «... إذا نظرنا إلى بعض علماء السلف الصالح، وبعض آرائهم واجتهاداتهم، لا شك أننا سنجد عندهم بعض الأخطاء والمخالفة للسنة الصحيحة، ولكن ما دام إننا عرفناهم أنهم تمسكوا بالمنهج الصحيح الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح مع الاختلاف في بعض الجزيئات؛ إذا قال الصحابي قولًا ولم يخالفه أحد هل يعد حجة أم لا؟

ما يخرج هذا المخالف مع كونه مخطئًا عن منهج السلف.

الآن التاريخ يعيد نفسه؛ فعلى نسبة هذا المنتمي إلى السلف الصالح: نسبة قربه وبعده في تحقيق انتسابه إلى السلف الصالح؛ يقال فيه: أنه مع السلف الصالح أو مخالف للسلف الصالح، فلذلك لا يصح إطلاق القول على من كان يعلن ولو بلسانه على الأقل ما لم ينقض بأفعاله ما يقوله بلسانه، لا يصح أن نقول: أنه ليس سلفيًّا ما دام أنه يدعو الناس إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف، وعدم التعصب إلى إمام من الأئمة؛ فضلًا أن يتعصب إلى مذهب من

المذاهب، فصلًا على أن يتعصب إلى حزب من الأحزاب، لكن له آراء يشذُّ بها في بعض المسائل الاجتهادية، وهذا لا بد منه: فبعض أئمة السلف اختلفوا في بعض المسائل.

لكن نحن يهمنا القاعدة: هل هو مؤمن بها؟

هل هو داعي لها؟

نحن نعرف كما قلنا -أكثر من مرة-: لا يوجد اليوم على وجه الأرض ممن يطلقون على أنفسهم (أهل السنة والجماعة) لا يوجد فيهم من يقول: بأن منهج السلف الصالح خطأ، ولو كان لا يتبناه فعلًا.

وهذا الذي يدعو إلى اتباع السلف الصالح فعلًا ودعوة قد يخالف في بعض الفروع، ما نستطيع أن نخرجه من انتسابه الذي أعلنه بسبب بعض المخالفات، لكن هذه المخالفات قد تكون فردية تؤثر في شخصه أو في أفراد يحيطون به، ولكن قد يكون لها تأثير كبير جدًّا.

فبنسبة هذا التأثير يكون الابتعاد عن منهج السلف أو الاقتراب منه!

أما أن نطلق على أفراد يدعون إلى الكتاب والسنة، وليس هذا فقط بل وعلى منهج السلف الصالح، لكن يخالفون في بعض القضايا ما ينبغي أن نتهمهم بالمخالفة إلا إذا أعلنوها صراحة؛ كما بلغنا عن بعضهم أنهم يقولون: نحن نتبع السلف في عقيدتهم في علمهم أما في وسائلهم فلا؛ هذا مخالف جذريًا لمنهج السلف، بل مخالف لدعوة الرسول ﷺ الذي اهتم بالتوحيد في العهد الملكي.

الجماعات الأخرى الذين يقولون: نحن على الكتاب والسنة لا يهتمون بالتوحيد، بل قد يوجد فيهم من يقول: أن هذه الدعوة اليوم تفرق ولا تجمع؛

لذلك يجب إبعادها عن الدعوة، هؤلاء حتمًا ليسوا سلفين؛ فإن وصل بعض الناس إلى هذه المرتبة من البعد عن منهج السلف الصالح ولو كان ينتمي في كلامه ودعوته إلى منهج السلف الصالح؛ فإنما كلمة هو قائلها!».

وسئل -أيضًا- رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رجل يعتقد عقيدة السلف؛ لكنه عمل حزبًا وجماعة منظمة تنظيمًا عنقوديًا أو هرميًا، وصار حبهم لبعض أكثر من جهنم للآخرين، وولاؤهم لبعض أكثر من ولائهم للآخرين، وهم يعتقدون: أنهم على السنة!!

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هم خارجون عن السلفية، وخارجون عن السنة، وخارجون عن الفرقة الناجية؛ كما في الحديث: «ما أنا عليه وأصحابي»؛ لأن هؤلاء إذا خالفوا السنة؛ فقد خالفوا الصحابة».

وقد استقرأت جميع ما نشر من أقوال علماء الدعوة السلفية المعاصرين حول ما يخرج الرجل من السلفية؛ فوجدتها:

١- يخرج من السلفية من جاء بما ينقض أصلًا من أصول أهل السنة والجماعة، بعد نصحه، وإقامة الحجة عليه.

٢- يجب التفريق بين من خالف أصول السنة، وبين من أخطأ في تنزيل بعض الأصول على واقعة عين.

٣- من ثبتت سلفية بيقين خاصة من أهل العلم والفضل الكبار لا يخرج من السلفية إلا ببرهان واضح، ولا يحكم على خروجه إلا العلماء الراسخون ذوو البصيرة.

٤- من يدافع عن أهل البدع والأهواء والأحزاب والجمعيات ويتولاهم؛

فهو منهم وإليهم؛ فمن خفيت علينا بدعته؛ لم تخف علينا صحبته!

٥- من يشارك في وسائل التغيير الدعوية البدعية: من الانتخابات، والمظاهرات، والإضرابات والاعتصامات، والثورات، والخروج على حكام المسلمين أو التحريض عليهم.

٦- من سلك في تحمل العلم وأدائه طرق أهل البدع؛ كعلم الكلام، والفلسفة، والمنطق، والتصوف، والتعصب المذهبي.

٧- من نصب شخصًا أو جماعة أو طائفة يوالى ويعادي عليه.

٨- من كثرت أخطاؤه في الفروع وفسدت أخلاقه بوضوح؛ بحيث نتيقن أن أصوله العقدية باطلة والمنهجية فاسدة.

٩- من وافق المبتدعة في أمر يعد من خصائصهم، وشارة عليهم، وعلامة على بدعهم.

١٠- من طعن في أئمة أهل السنة المعاصرين؛ كالألباني وابن باز وابن عثيمين والوادعي وغيرهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ عز وجل، وقدم عليهم رؤوس أهل الأهواء والبدع؛ كحسن البنا، وسيد قطب، والنبهاني، ومحمد إلياس، وأمثالهم.

تلك عشرة كاملة تكفي من أراد الله به خيرًا.

الثانية: خطورة تمييع الدعوة السلفية:

١- من الأخطار التي تهدد الدعوة السلفية طائفة من المنتسبين إليها ادخلوا فيها أصولًا بدعية؛ مثل: منهج الموازنات عند الكلام في أهل البدع، أو صححوا بعض القواعد الحزبية؛ مثل: نتعاون في اتفقنا فيه، ويعذر بعضنا بعضًا في اختلفنا، وصار ديدنهم الدفاع عن الأحزاب؛ مثل: الإخوان المسلمين وفروعها

وعلى رأسها حماس الرافضية الإخوانية، والسرورية القطبية، وجماعة التبليغ، وحزب التحرير، والطرق الصوفية بدعوى ما نتفق عليه أكثر مما نختلف فيه.

٢- وأسباب انحراف هؤلاء المميعة كثيرة؛ من أهمها وأخطرها:

أ- أنهم تربوا في بواكير الصبا في محاضن الجماعات الحزبية، ورضعوا من لبانهم حتى الثمالة، ثم مَنَّ الله عليهم بهداية عامة؛ فبقيت عندهم رواسب كثيرة، والرواسب طبع ثان.

ب- جهلهم المدقع بالمنهج السلفي تفصيلًا وتأصيلًا، وإنما أخذوا منه العناوين العامة، والخطوط العريضة، واكتفوا بها.

ت- بعضهم دُسَّ في وسط الدعوة السلفية من قبل أحزاب بدعية إسلامية أو غير إسلامية، أو مخابرات عالمية أو إقليمية، أو طوائف رافضية أو صوفية باطنية؛ شعروا بذلك أم لم يشعروا؛ لأن تجنيد العملاء الآن له طرق خفية، وأساليب شيطانية؛ نعوذ بالله من الخذلان، وعدم التوفيق والحرمان.

ث- بعضهم عنده دوافع أو عقد نفسية: من حب الجاه، والشهرة، وجمع الأتباع، وكثرة المعجبين، ولا يتحقق ذلك لهم؛ إلا بمغازلة العوام بما يشتهون، ومعاملة أهل البدع والأهواء بما يهوون.

وقد تجتمع هذه الدوافع، وقد توجد فرادى، وهذه النوعيات في الدعوة السلفية أقل من غيرها بلا مثنوية؛ فجميع الجماعات والأحزاب مخترقة حتى النخاع؛ نسأل الله العفو والعافية من عاقبة السوء.

٣- التميز المنهجي فريضة شرعية وضرورة دعوية:

أ- من أصول أهل السنة والجماعة التميز عن أهل البدع والأهواء:

قال الامام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصول أهل السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعه ضلالة».

ب- لا يمكن تطبيق السنة والاتباع؛ إلا بالابتعاد من البدع ومجانبة أهلها:

ولذلك تجد في حض رسول الله ﷺ على اتباع السنن يتبعها بالتحذير من البدع؛ كما في حدث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة»[1].

ت- تميز السلفيين بدعوتهم ومنهجهم قوة لهم، واختلاطهم بأهل الأهواء والبدع، يضعفهم، ويذيبهم، ويذهب ريحهم:

قال ابن بطة العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله الله معشر المسلمين، لا يحملن أحدًا منكم حسن ظنه بنفسه، وما عهده من معرفته بصحه مذهبه، على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء؛ فيقول: أداخله؛ لأناظره، أو لأستخرج منه مذهبه؛ فإنهم أشد فتنة من الدجال، وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من اللهب.

ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم؛ فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم؛ فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر ودقيق الكفر

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٦).

حتى صبوا إليهم!»[١].

وكم من رجل جالس أهل الضلال، وخالط أهل البدع؛ فَضَلَّ وَأَضَلَّ، وقد رأينا بعد وفاة شيخنا الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كثير من المنتسبين إليه أمر عجبًا، ولا ينكر هذا إلا فاسد العقل منتكس الفطرة.

ومن هذا ما يروى عن عمران بن حطان أنه كان من أهل السنة؛ فقدم غلام من أهل عمان مثل النصل؛ فقلبه في مقعد[٢].

ولهذا؛ فإن من يصغي لأهل البدع، ويسمع لأهل الأهواء، ويجالس الحزبيين: إما أنه منهم، أو راض عنهم، أو منافق يدعي السنة؛ فلا نعلم من سلفنا الصالح إلا التحذير منهم، والفرار من مجالستهم، والنهي عن اتخاذهم بطانة؛ فمن يدعي السلفية ولم يفارق المبتدعة والحزبيين؛ فقد كذب.

الثالثة: استهداف الدعوة السلفية واختراقها:

الدعوة السلفية دعوة تجديد للدين، ورجوع إلى منبع الأمة الأصيل من فهم وتقرير وعمل، وهدفها أسمى الأهداف، وشعارها أنبل الأوصاف: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها؛ فما لم يكن يومئذ دينًا، لا يكون اليوم دينًا»[٣].

---

(١) «الإبانة الكبرى» (٢/ ٤٧٠).

(٢) «الإبانة الكبرى» (٢/ ٥٠٢).

(٣) من كلام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونسبته إليه صحيحة لا ريب في ذلك:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٥٣): «الثابت المنقول عنه بأسانيد الثقات في كتب أصحابه؛ كما ذكره إسماعيل بن إسحاق القاضي وغيره»، واستحسنها في «اقتضاء =

وهذه الجملة على اختصارها، وقلة ألفاظها؛ فإنها قاعدة كلية نافعة في مقامات الدين كله؛ حيث يحصل بها حماية الشريعة من التحريف، والتبديل، والتأويل.

وصدق من قال في وصفها: «هذا العنوان جملة إن لم تكن من كلام النبوة؛ فإن عليها مسحة من النبوة، ولمحة من روحها، وومضة من إشراقها»[1].

قلت: كيف لا؟! وأحاديث نبوية كثيرة تشهد لصحة معناها، وصفاء مقاصدها؛ منها:

١- حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سمعت رسول الله ﷺ؛ يقول: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه؛ حتى ترجعوا إلى دينكم»[2].

٢- حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: إن رسول الله ﷺ قال -ونحن جلوس على بساط-: «إنها ستكون فتنة»، قالوا: وكيف نفعل يا رسول الله؟! فرد يده إلى البساط، وأمسك به، فقال: «تفعلون هكذا».

وذكر يومًا «أنها ستكون فتنة» فلم يسمعه كثير من الناس، فقال معاذ بن

الصراط المستقيم» (ص٣٦٧).

ونقلها عن الإمام مالك جمع في أهل العلم؛ كالقاضي عياض في «الشفاء» (٢/ ٨٧-٨٨)، والشاطبي في «الاعتصام» (١/ ١١١)، وابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٠٠).

(١) «آثار البشير الإبراهيمي» (٤/ ٩٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، وأحمد (٤٩٨٧)، وصححه شيخنا الألباني في «الصحيحة» (١١).

جبل: ألا تسمعون ما يقول رسول الله ﷺ؟! فقالوا: ماذا قال؟! قال: «إنها ستكون فتنة»، فقالوا: كيف لنا يا رسول الله؟! أو كيف نضع؟ قال: «ترجعون إلى أمركم الأول»[1].

ولذلك سار في ركاب الدعوة السلفية أنبل رجال هذه الأمة وأشرفهم؛ من علماء ربانيين، ودعاة مصلحين، وأئمة مخلصين، وطلاب علم جادين

ولما كان الأمر ما وصفت؛ استهدف أهل البدع والأهواء دعوة أهل السنة والجماعة السلفية عبر مسيرتها التاريخية: بالتشويه تارة، وبالحرب الإعلامية أخرى، ومحاولة اختراقها عقديًا ومنهجيًا وسلوكيًا وسياسيًا؛ فَرُوِّجت مسلمات لم تكن من أصول عقيدتها، ولا من ثوابت منهجها، ولا من أدبيات أخلاقها، ولا من مقاصد سياستها الشرعية، واضطهد الصادقون من علمائها، وعقدت لهم محاكم التفتيش البدعية؛ كمحاكم التفتيش الاعتزالية في زمن الإمام أحمد، ومحاكم التفتيش الأشعرية في زمن شيخ الإسلام ابن تيمية، ومحاكم التفتيش الصوفية في زمن محمد بن عبد الوهاب، ومحاكم التفتيش الحزبية الحركية في زماننا.

وأبرزت أجهزة الإعلام -المسيرة من قوى عالمية وإقليمية ومحلية- من ليس منها ولا يمثلها؛ تغريرًا بالناشئة من أبنائها، وتبديلًا لمسيرتها الدعوية الإعلامية، وإفسادًا لمشروعها الإصلاحي الحضاري العالمي.

فكان لزامًا على علمائها المخلصين ودعائها الناصحين: أن لا يهادنوا

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ١٨١-١٨٢)، و«الأوسط» (٨٨٤٣)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٦٨)، وصححه شيخنا الألباني في «الصحيحة» (٣١٦٥).

المخالفين، ولا يتستروا على الخاذلين؛ ليحي من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة، وقد جاءت هذه الجملة في وصية شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ كالمسمار في الساج: «ثم احذرهم من مشاركة الكثيرين ممن خرجوا عن الخط السلفي بأمور كثيرة وكثيرة جدًّا يجمعها كلمة الخروج على المسلمين وعلى جماعاتهم».

وممن يقصدهم شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بلا مثنوية- حركة الإخوان المسلمين وأخواتها من الحركات الحزبية البدعية، وأخطرها الحركات التكفيرية = السلفية الجهادية) و(الحركة السرورية القطبية الحرورية = السلفية الإصلاحية).[1]

أولًا: خطر الحركة السرورية الحرورية على الدعوة السلفية من وجوه عدة، وجبهات متعددة:

١- أنهم ينتسبون لمنهج السلف، وينتحلون مدرسة ابن تيمية ودعوة محمد ابن عبد الوهاب، ولكنهم في الواقع يعظمون سيد قطب، ويجعلون كتبه قبلتهم في أطروحاتهم الدعوية، ومواقفهم العملية، وتحالفهم مع المخالفين للسنة والسلفية؛ ممن يشاركهم في النضال السياسي، والخروج على حكام المسلمين.

ولذلك من لا يعرف حقيقة المنهج السلفي، ولم يذق طعم الدعوة السلفية الصافية؛ يظنهم سلفيين!!

وفي الحقيقة أن حال السرورية الحرورية يشبه حال الأشعرية الكلابية:

الذين حاولوا المزج بين أصول أهل السنة وأصول المتكلمين وأهل الرأي،

---

(١) وقد كشفت أسرارهم وسترهم، وسبرت غورهم وعوارهم في كتابي: «بيان تلبيس القطبية في تأسيس بدعهم الحزبية»، وأتيت على ذكر أكابر مجرميهم في كثير من الدول العربية والإسلامية والبلاد الأوروبية، راجيًا من الله العون، سائلًا إياه الحفظ من شرهم وشر كل ذي شر.

لذلك؛ فهم حركة هجين بين الإخوانية القطبية والسلفية المعدلة وراثيًا!!

ولذلك رفعوا شعارًا؛ ليصطادوا به الشباب؛ وهو: سلفية العقيدة، وعصرية المنهج والمواجهة!!

وما درى هؤلاء المتشبعون بما لم ينالوا: أن من فسد منهجه؛ فسد دينه كله؛ لأن المنهج هو السياج العام، والحصانة لكل شعائر الدين من الفساد والاختراق.

وتناسى هؤلاء أنهم بذلك طعنوا في السلف الصالح جملة وتفصيلًا؛ فإذا كان منهج السلف لا يصلح للمواجهة والتغيير؛ فكذلك عقيدة السلف الصالح لا تصلح للتربية والتأثير.

وهذا ما قرره من تنسب إليه الحركة السرورية ومنظرها محمد سرور بن نايف زين العابدين عندما قال: «نظرت في كتب العقيدة؛ فرأيت أنها كتبت في غير عصرنا، وكانت حلولًا لقضايا ومشكلات العصر الذي كتبت فيه، رغم أهميتها، وتشابه المشكلات أحيانًا، ولعصرنا مشكلاته التي تحتاج إلى حلول جديدة، ومن ثم؛ فأسلوب كتب العقيدة فيه كثير من الجفاف؛ لأنه نصوص وأحكام، ولهذا أعرض معظم الشباب عنها، وزهدوا فيها»[1].

فهذا اعتراف صريح من منظر هذه الحركة الحزبية: أنهم لا يتبعون عقيدة السلف ولا منهج السلف، وإنما يتسترون بالدعوة السلفية؛ ليصطادوا الشباب، ويوقعوهم في شباكهم، وهذه طريقة باطنية تشبه تجارة الروافض بالقضية

---

(١) «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله» (١/ ٨).

الفلسطينية، ودعاواهم؛ أنهم: يدعمون من يجاهد لتحرير فلسطين وإنقاذ المسجد الأقصى؛ ليخدعوا أهل السنة والجماعة؛ فيخترقوا بلدانهم، ويقتلوا رجالهم، ويذبحوا أطفالهم، ويغتصبوا نساءهم، والعالم من حولهم مشغول يطبل لهم بأنهم حماة المقاومة ضد اليهود والأمريكان، وهم في الخفاء يذبحون الفلسطينيين؛ كما فعلوا في لبنان وسوريا والعراق واليمن!

وكذلك هذه الحركة السرورية تصرخ بأعلى صوتها: أنها تسير على عقيدة السلف، وهي تمارس في الخفاء تشويهًا لعلماء الدعوة السلفية، واغتيالًا معنويًا لرموزها، وتحل محلهم دعاة ومفكرين، وكتابًا نكرات رويبضات، تحت شعارات براقة: فقه الواقع، شباب الصحوة، مواجهة الإلحاد، الرد على العلمانية... إلخ.

٢- ولم يكتفوا بتزهيد الشباب بعقيدة السلف ومصادرها، بل استبدلوها بعقيدة الخوارج الحرورية؛ فجعلوا الحاكمية والتكفير المنفلت والتفسير السياسي لكلمة التوحيد؛ هو: أصل الأصول الذي بعث من أجله الرسول ﷺ؛ فقرروا جاهلية المجتمعات الإسلامية، ووجوب الخروج على أئمة الجور، وحصروا السمع والطاعة للجماعة، والولاء والبراء على أفكارها ورموزها.

ولذلك جل اهتمامهم وواسطة العقد في الولاء والبراء عندهم هو سيد قطب أقنوم الخوارج الجدد؛ قال محمد سرور: «ولا أعرف كاتبًا في العصر الحديث كسيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقد كان أمينًا في عرضها وفي وضع الحلول لها»[1].

---

(١) «دراسات في السيرة النبوية» (ص٣٢٣).

٣- يعملون ليل نهار بكيد سيئ ومكر كبار على إسقاط مرجعية الدعوة السلفية من العلماء الكبار؛ خاصة ممن اجتمعت الأمة على تقديرهم ومحبتهم وفي مقدمهم: الأئمة الألباني وابن باز وابن عثيمين ومقبل الوادعي رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى، ومن سار على دربهم.

قال محمد سرور: «إن الدعوة السلفية أكبر من أن تستوعبها جماعة، أو شيخ أو عدد محدود من الأفراد، وليس هناك جهة أو مؤسسة يحق لها ادعاء حق الوصاية على هذه الدعوة»[1].

أ- ولذلك لا يربطون اتباعهم بمرجعية علماء الدعوة السلفية الكبار في العالم الإسلامي.

وإنما يربونهم على الانتماء لحزبهم، وطاعة قياداتهم الفكرية والتنظيمية.

ب- وحتى لا يتفطن طالب العلم لمصائدهم الحزبية؛ فإنهم لا يقطعونه عن العلماء دفعة واحدة؛ حتى لا يحدث لديه صدمة قد يستفيق منها؛ بل على سياسة الشيطان خطوة خطوة:

فالعلماء يرجع إليهم في المسائل الفقهية فقط، يصاحب ذلك ترسيخ فكرة شيطانية في نفوس الاتباع بقصور العلماء في فقه الحركة والواقع، وغياب كامل لأهل العلم في مجال السياسة التي ترعى شؤون المسلمين، والعلماء ليس عندهم الغيرة على شرع الله، ثم تجدهم يتظاهرون في الخطاب العام والمنتديات بتوقير العلماء واتباعهم والذب عنهم.

---

(١) «مجلة السنة» (عدد ٣٠ - ص٨٢).

ت- واتباع هذا الحزب السروري الحروري لا يصرحون بحقيقة مذهبهم، ولا يظهرون انتماءهم بل يسلكون مسلك التقية الرافضية في إخفاء منهجهم، ولذلك خفي أمرهم، وأشكل واقعهم على كثير من أهل العلم؛ فضلًا عن صغار طلاب العلم؛ حتى أن كثيرًا من هؤلاء يحسن الظن بهم؛ لإظهار اتباع السنة، ودفاعهم عن التوحيد، وردهم على الرافضة بشكل عام.

وأما على العلماء الراسخين؛ فلا يخفى أمرهم؛ فقد فضح الله سرهم، وهتك سترهم، ولتعرفنهم في لحن القول؛ فهم:

- يسارعون في الفتن الثورية، ولذلك رأيناهم يركبون موجة (الربيع العربي = الخريف العبري)، ويطبلون لحركة الإخوان المفلسين، ويصدرونهم بأنهم أولى الناس بالحكم وإدارة شؤون الدول، وأجلى موقف رأيناه منهم في مصر إبان الثروة المصرية التي أطاحت بالرئيس المصري محمد حسني مبارك عام (٢٠١١ شمسية)، وكيف اتحدوا مع الإخوان في ميدان رابعة قلبًا وقالبًا، وخرجوا مع نسائهم وأولادهم إلى ميدان التحرير.

وصاروا يعملون تحت شعار (شورى العلماء) و(حزب النور).. إلخ!![1].

- وإذا هلك رأس من رؤوس الضلال وأهل البدع: رأيناهم يسارعون إلى الترحم عليه، والأسف على موته، والطعن بمن فرح بهلاكه؛ كما فعلوا عند هلاك الترابي والقرضاوي والصابوني وقادة حماس وزعيم حزب اللات اللبناني وغيرهم كثير -لا كثرهم الله-.

---

(١) وقد بين الشيخ عادل السيد سدده الله حالهم بتفصيل في كتابه «السرورية في الثروات العربية».

- وتراهم يقللون من خطورة الحركات الإسلامية الحزبية؛ كالإخوان، والتبليغ، وغيرها، ويدخلونها جميعًا في مسمى أهل السنة والجماعة!!

- وإذا صار خلاف بين علماء الدعوة السلفية ورؤوس أهل البدع: رأيتهم يصفون مع شياطينهم الحزبيين، ويدافعون عنهم قائلين لهم في السر: إنا معكم إنما نحن مستهزؤون، وانظر إلى موقفهم من سيد قطب أقنوم الخوارج عندما ينتقده علماء الدعوة السلفية؛ تحمر أنوفهم.

٤- وقد تجرأ في هذه الأيام بعض منظريهم الإعلاميين[١]؛ فكشف المستور، وفضح المؤامرة؛ فصرح وتبجح قائلًا: «.. شيوخ السلاطين[٢] دمروا الدين ودمروا الدنيا، والحل؛ هو: ليس بمواجهتهم؛ لأن الأمة تحترم العلماء حتى لو كانوا من هذا النوع.

الحل: هو باستبدالهم بجيل جديد من شباب يتقن العلم الشرعي، لكن ليس فقط العلم الشرعي، الشباب الذين يدرسون فيكم العلم الشرعي.

للأسف إذا تعمقتم بدون ما تأخذون أمورًا أخرى؛ ممكن تتحولون إلى شيوخ سلاطين -أيضًا-!!

فالحل تأخذون العلم الشرعي ومعه الفكر الحر المنفتح، وتأخذون مهارات نشر الفكر، وتأخذون مهارات التأثير؛ تأخذون مجموعة من المهارات والعلوم.

---

(١) المدعو طارق سويدان سوَّد الله وجهه إن لم يتب(!)

(٢) يقصد علماء الدعوة السلفية؛ لأنهم لا يرون الخروج على الحكام في ثورات أو مظاهرات أو انقلابات ...إلخ، بل يقررون مبدأ السمع والطاعة في غير معصيته لله عز وجل، فإذا أمر بمعصية؛ فلا سمع ولا طاعة؛ لكن لا تنزع يدًا من طاعة.

إذا أخذتم العلم الشرعي فقط تتحولون مع الأيام، كثير من الذين يأخذون العلم الشرعي يتحولون إلى هذا النوع.

نحتاج الآن إلى مشاريع جديدة من هذا النوع، وعندنا مشروع رئيس سنطلقه قريبًا في إنشاء جيل جديد من العلماء العاملين المنفتحين الذين ينهضون بالأمة»[1].

تأملوا يا رعاكم الله كيف يتجرأ هذا الأنوك[2] على منزلة العلماء! وكيف هدم مقام العلم؟:

- أما العلماء؛ فيصفهم بأنهم خدم للسلاطين؛ يصدرون عن أهواء الحكام، ويلعقون أحذية الملوك والأمراء والرؤساء، وأنهم غلاة الطاعة الذين أفسدوا الدنيا والدين؛ قال محمد سرور: «وصنف آخر يأخذون -يعني المساعدات الرسمية- ويربطون مواقفهم بمواقف سادتهم:

فإذا استعان السادة بالأمريكان انبرى العبيد إلى حشد الأدلة التي تجيز هذا العمل، ويقيمون النكير على كل من يخالفهم.

وإذا اختلف السادة مع إيران الرافضة؛ تذكر العبيد خبث الرافضة، وانحراف منهجهم، وعداوتهم لأهل السنة، وإذا انتهى الخلاف سكن العبيد، وتوقفوا عن توزيع الكتب التي أعطيت لهم.

هذا الصنف من الناس: يتجسسون ويكذبون ويفعلون كل شيء يطلبه السادة منهم.

---

(١) مفرغ من مقطع مرئي على YouTube.

(٢) الأحمق.

يا إخواننا لا تغرنكم هذه المظاهر؛ فهذه المشيخة صنفها الظالمون، ومهمة فضيلة الشيخ لا تختلف عن مهمة كبار رجال الأمن»[١].

وقال أيضًا: «ولا ينقضي عجبي من الذين يتحدثون عن التوحيد، وهم عبيد عبيد عبيد عبيد العبيد، وسيدهم الأخير نصراني»[٢].

- وأما العلم الشرعي؛ فإنه لا يزكي صاحبه، ولا ينفع من صرف فيه عمره.

قلت: إن كان علماء الدعوة السلفية علماء للسلاطين؛ فهذا المسخ اللقيط والمنظر العبيط وإخوانه من الإخونج والسروريين علماء للشياطين؛ كما ورد وصفهم في حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «يكون بعدي أئمة: لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس». قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك؛ فاسمع، وأطع»[٣].

ولذلك؛ فعلماء الشياطين من السرورية ينعتون هذا الحديث النبوي الصحيح الذي فضحهم وكشفهم بـ«الحديث سيئ الذكر».. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

بل يزعم: أن الاقتصار على العلم الشرعي يؤدي إلى تكوين طبقة جديدة من علماء السلاطين على حدِّ زعمه، ومنتهى وهمه!!

---

(١) «مجلة السنة» (عدد ٤٣ ص ٢٧-٢٩).

(٢) «مجلة السنة» (عدد ٢٣ ص ٢٩-٣٠).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٧).

ولذلك لا بد من مواجهة العلماء؛ باستبدالهم بمكر وخداع وحيلة!

فأي دين يريدون نصرته؟!

وأي أمة يسعون لنهضتها؟!

وأما مشاريعه التي وعد بإطلاقها من عقالها؛ فعلى رأسها مشروع البناء المنهجي، وصناعة المحاور.

وهذه المشاريع يشرف عليها مباشرة الصف الثاني من دعاة الصحوة السروريين السعوديين الفارين إلى تركيا.

وهي إعادة تدوير لكل بدعهم العقدية والمنهجية والسلوكية؛ بإخراج إعلامي فخم يصرف عليه بإنفاق ضخم!!

لكن طالب العلم الباحث عن النجاة بصدق، الساعي للرسوخ بحق: يتحرى أن يتتلمذ على يد علماء ربانيين، مشهود لهم برسوخ العلم، وعمق الفهم، وسلامة المنهج، وصفاء العقيدة؛ لـ«أن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم»[1].

فليس المعيار عنده انبهار بطريقة إلقاء منمقة، أو كثرة منصات خادمة، أو شعارات براقة، مع واقع علمي كئيب بعيد كل البعد عن العلم بالوحي على طريق السلف الصالح ومنهجهم.

نعم طالب العلم السني يقبل الحق أينما وجده؛ لأنه ضالته، لكن هذا القبول مقيد بضوابط؛ منها:

---

(١) أخرجه مسلم في «مقدمة الصحيح» (ص١٤) من كلام محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١- قدرة المتلقي على تمييز الحق من الباطل، وإلا لم يجعل دينه حقلًا للتجارب، وهو لا يحسن الخوض في هذا المعترك.

٢- قدرة الشارح على إخفاء منهجه، ودس المعاني الباطلة والآراء العاطلة دون أن يشعر المتلقي خصوصًا مع انبهاره بالتقسيمات والقواعد التي لم يسمع بها من قبل؛ فيقع في المصيدة من حيث لا يشعر، ويصير مدافعًا عنها، معتقدًا: أنها الحق وهو لا يعلم.

وهذه البرامج فيها إشكالات عدة، وتكتنفها مخاطر متعددة، ويحيط بها شبهات متجددة؛ فعلى سبيل المثال:

١- التناقض العقدي والتباين المنهجي، وذلك بالإحالة على عقائد متناقضة ومناهج متباينة:

تجدهم في أبواب الاعتقاد يحيلون على كتب سفر الحوالي المشحونة بتكفير تارك جنس العمل، بل من مقررات هذه البرامج كتاب «ضوابط في التكفير».

وهذا الاتجاه يرى أن القائلين بعدم كفر تارك الصلاة مرجئة، وعلى رأسهم شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ كما صرح بذلك سفر الحوالي في كتابه الأبتر: «ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي» الذي صنعه على عين شيخه محمد قطب التكفيري الجلد!!

في الوقت نفسه نرى الإحالة لكتب محمد الحسن ولد الددو الشنقيطي[1] الذي

---

(١) وهذا الرجل ظاهرة إعلامية وليس قامة علمية؛ صنعها الإعلام الإخونجي العميل وقناة الجزيرة الماسونية، وله من الأوهام أكبرها ومن الآراء الشاذة أخطرها، لو جمعناها لبلغت حمل بعير، =

يرى أن الأشاعرة والماتريدية والصوفية من أهل السنة والجماعة، التي تنقسم عنده إلى: أهل الحديث، والأشاعرة، والماتريدية!!!

وإظهار بعضهم ترجيح مذهب السلف؛ لأنه أسلم مرحلة لما وراء الأئمة أو ما بعد السلفية!!

٢- التركيز على التفكير القطبي القائم على تكفير المجتمعات، وتخوين الخصوم، والحكم عليهم بالنفاق، وموالاة أعداء الأمة؛ حيث يقول القائم على هذه المشاريع البدعية -وقد غره كثرة أتباعه من الولدان والنساء- «مرحلتنا هذه ليست مرحلة البناء العلمي الشرعي التخصصي.

وإنما مرحلتنا هذه هي مرحلة أشبه بمرحلة بناء الصحابة في المرحلة المكية: مرحلة تقوية الإيمان، وزيادة الوعي، والبصيرة بالأعداء والمنافقين والمجرمين.[1]

الذين لَبَّسوا على كثير من أبناء الأمة باسم الإسلام، وهم في الحقيقة يحاربونه ويحاربون حملته[2]، وأما التعويل على المنشغلين بالدروس الشرعية المحضة بعيدًا

وأنا به زعيم.

ومن المضحك المبكي: أن أتباعه يزعمون: أنه أعلم أهل الأرض(!!)

(١) يقصدون بالأعداء المجرمين: أعداء مشروعهم القطبي السياسي والسروري الخارجي؛ فكل من يعارض ديمقراطيتهم الكاذبة، وثوراتهم البائسة، ومظاهراتهم الزائفة؛ داعيًا إلى الحفاظ على أمن البلاد والعباد؛ فهو من أعداء الأمة بل خارج من الملة!

(٢) وقد ظهر هذا المنهج الاستعلائي التكفيري بوضوح في حماقة غزة (طوفان ٧ أكتوبر ٢٠٢٣)؛ فكل من انتقد حركة حماس الإخوانية أو شقيقتها حركة الجهاد الرافضية وتعاونهما مع الروافض؛ صرحوا بنفاقه، ووصفوه: بأنه من صهاينة العرب، وأنه للكفر يومئذ أقرب منه للإسلام.

عن البصيرة بالواقع وتحدياته ومعرفة أعداء الأمة حقًا؛ فخطأ كبير».[1]

فكلامه صريح أننا نعيش في مجتمعات جاهلية تشبه مرحلة الاستضعاف المكية؛ حيث كانت مرحلة التكوين، وهذه فكرة قطبية بامتياز؛ تلغي جهود جميع المصلحين، وتحكم على الأمة الإسلامية بالردة، وتصف المجتمعات والدول الإسلامية بالجاهلية.

ثم ها هو يصرح: أن هدفه ليس بناء طالب علم متقن لعلوم الإسلام.. فإن لم يكن هدف البناء المنهجي إيجاد طلاب علم بحق، ودعاة إلى الله بصدق؛ فبئس البناء، وبئس المنهج.

٣- تسويغ المناهج الكلامية، وترويج طرقها البدعية، ونقض لإجماع السلف في التحذير من علم الكلام، ومنابذه دعاته المتكلمين:

فمن مقررات برنامج البناء المنهجي: كتاب في ترجمة أبي حنيفة لوهبي سليمان غاوجي الذي ملأه بالعقيدة الماتريدية، وشحنة بالنقل من الكوثري والغزالي والرازي في المسائل الكلامية؛ متجنيًا على منهج السلف؛ زاعمًا أنه التفويض!! فلماذا يصرون على تدوير علم الكلام وتزيينه؛ لولا أنهم لا يرون الالتزام بالمنهج السلفي ضرورة وفريضة!!

٤- تمييع ثوابت المنهج السلفي؛ كمسائل الولاء والبراء، والإيمان، وصفات الرب، والرد على أهل البدع المخالفين، ومراعاة المصالح والمفاسد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، ويحيلون في بيان ذلك كله

---

(١) وهذا تكرار لما سبق في كلام منظرهم البائس طارق سويدان؛ انظر (ص ٥٨)، وتلخيص لما قاله منظر حزبهم محمد سرور في كتبه... تشابهت قلوبهم!.

لكتب المفكرين والكتاب والدعاة من حزبهم السروري الإخونجي الحروري، الذين يتمسحون بالمنهج السلفي ظاهرًا؛ حتى لا ينكشف أمرهم مبكرًا.

٥- لا يحاضر في برنامجهم، ولا يستضيفون في ندواتهم، ولا يشارك في برامجهم الإعلامية؛ إلا كل أخواني حزبي، وكل سروري قطبي، وجلهم: شباب حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام: من الذين يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم، قد امتلؤوا غرورًا في أنفسهم، وغيظًا وحقدًا على أهل السنة والجماعة، وأوضح مثال: «برنامج سواعد الإخاء الإخواني الرمضاني»[1]!!

وبهذا يتبين أن هذه البرامج:

١- قنطرة لحشد الشباب ذكورًا وإناثًا خلف المشروع الإخواني القطبي السياسي، لكن باسم السلفية والسلفيين؛ لينقاد جيل المستقبل، ويقع عدة الغد دون نقاش أو تفكير؛ فيحلوا صرعى في أيدي أهل البدع والتحزب؛ ليكونوا قنابل موقوتة ضد بلاد المسلمين ودول أهل السنة والجماعة، وخلايا نائمة تحت الطلب، وذئابًا منفردة للإيجار.

٢- القائمون على هذه البرامج لهم ارتباط وثيق بالتنظيم العالمي الإخواني الماسوني، ورابطة علماء أهل السنة السرورية، واتحاد علماء المسلمين الإخواني قلبًا وقالبًا.

٣- تتمحور هذه البرامج حول كتب سيد قطب ومحمد قطب ومن تخرج من مدرستهما؛ فمثلًا تكفير تارك جنس العمل مطلقًا والتي أطلقها القائمون على

---

(١) وانظر لزامًا كتابي: «فتنة الأصاغر».

هذه البرامج أخذوها من شيخهم سفر الحوالي، وسفر الحوالي أخذها من شيخه محمد قطب، ومحمد قطب تشبع بها من أخيه سيد قطب.

٤- إنها تجيش الشباب ضد أهل العلم المشهود لهم بالعلم والفهم والرسوخ؛ فهم في الواقع وفيما بينهم يسفهون أقوال أهل العلم، ويصفونهم بأقذع الأوصاف، وينبزونهم بألقاب السوء: جامية، ألبانية، مدخلية، وهابية ...إلخ على سنن أهل البدع والأهواء.

وأخيرًا يا طالب العلم لا تجعل دينك حقلًا لتجارب المتعالمين، وميدانًا لخصومات المتلونين؛ فالنجاة النجاة، والزم غرز العلماء الربانيين: علماء الكتاب والسنة، من أهل الحديث والأثر، اتباع المنهج السلفي بحق، وأنصار السنة المحمدية بصدق، وعلى رأسهم من أجمع أهل السنة والجماعة على إمامتهم، وتلقتهم الأمة الإسلامية بالقبول: محدث العصر ومجدد دعوة السلف الإمام شيخنا محمد ناصر الدين الألباني، وشيخ الإسلام الإمام والدنا عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وفقيه الزمان شيخنا محمد بن صالح العثيمين، ودرة اليمن في هذا الزمن أخونا الكبير العلامة مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ جميعًا.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «من كان منكم مستنًا؛ فليستن بمن مات؛ فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة»[1].

****

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١/ ٣٢٣)، وابن بطة العكبري في «الإبانة الكبرى» (١/ ٢٩٠)، وأبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» (١/ ١٣٦)، وهو صحيح.

قال شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإنما نأمر بأن يكونوا كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «وكونوا عباد الله إخوانًا؛ كما أمركم الله تبارك وتعالى».

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-:

إن تميز السلفيين بدعوتهم عن أهل البدع والأهواء؛ يستلزم أن يكونوا يدًا واحدة، وصفًّا متراصًا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

وعن أبي موسى الاشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن؛ كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[(١)].

ولن يتحقق هذا الترابط العقدي والتماسك المنهجي؛ إلا بإخوة الدين بين المؤمنين، ولذلك آخى رسول الله ﷺ بين الأنصار والمهاجرين إثر الهجرة إلى المدينة النبوية مباشرة.[(٢)]

وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال: «قد حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داري».[(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) قصة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار رواها البخاري (٣٧٨١)، ومسلم (١٦٠٠)، وذكرها أصحاب السير بتفاصيل.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٧٩).

وهي صفة ملازمة للإيمان؛ لأنها أسمى وأعظم الروابط الإنسانية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

والأخوة الإيمانية ضرورة حتمية، ومطلب جازم، ورباط لا يسع المسلمين المتبعين لكتاب الله وسنة رسوله بفهم السلف الصالح إلا أن يعضوا عليه بالنواجذ، ويجعلوه واقعًا عمليًا؛ لما يحوط بهم من النوازل العصرية التي لا يمكن لعاقل تجاهلها، ومن ذلك:

١- أن عصرنا الحاضر هو عصر التجمعات والأحلاف؛ التي لا تعرف غير مصالحها، وإن كانت على حساب وجود الآخرين ومصالحهم؛ فهي أحلاف وتجمعات لا تعرف الرحمة ولا العدل، ولذا لم يعد في عصرنا مكان للمتفرقين الممزقين.

٢- ما نراه من إخاء بين أصحاب كل فرقة من غير السلفيين؛ فكل حزب أو فرقة أو تنظيم يتآخون فيما بينهم في أطار ما يجمعهم ويوحدهم؛ إخاء تترتب عليه حقوق وواجبات نحو بعضهم بعضًا؛ فنحن أولى بإخوة الإسلام فيما بيننا، وما يترتب عليها من تعاون شرعي: يجعلنا شوكة في حلوق المبتدعة؛ بحيث لا يطمع فينا مبتدع حاقد، أو صاحب هوى حاسد.

أليس أتباع السلف الصالح أحق بذلك من هذه الحركات المنحرفة والأحزاب الضالة؟!.. كيف لا وهم أهل السنة والجماعة؟!.. أليس الأجدر بنا أن نكون صفًّا واحدًا متعاونين على البر والتقوى في زمان تداعى علينا أهل البدع والأهواء كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها؛ بدلًا من نبقى مشتتين ضعفاء؛ كغثاء السيل؟!!.

٣- إن السلفيين بين أهل الأهواء والبدع؛ كأمة الإسلام بين النحل، ولذلك؛ فإن جميع أهل البدع والأهواء يجتمعون على حرب الدعوة السلفية، ومعاداة السلفيين، والتآمر عليهم، والسعي الحثيث في القضاء عليهم وعلى دعوتهم، ولن نكون لهم بالمرصاد إلا بتوحيد كلمتنا، واجتماع شملنا، ورص صفوفنا.

٤- التوافق بين السلفيين، والتطاوع بين علمائهم ودعاتهم أصل الدعوة السلفية، وكما يجب التوافق في المنهج والعقيدة يجب التطاوع في الرأي والعزيمة، وما من خطر أشد على الدعوة السلفية، وأهتك لسترها، وأنكى في قوتها، وأعظم ثغرة لعدوها من اختلاف علمائها، وتفرق دعاتها، ويكفي لبيان ذلك قوله تعالى: ﴿ تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾ [الأنفال:٤٦]؛ فإن التنازع والتخاصم والاختلاف يؤدي إلى الفشل الذريع، والضعف المريع، وإلى ذهاب دعوتكم، وهوان كلمتكم، وظهور عدوكم عليكم.

والتنازع يفضي إلى الفشل؛ لأنه يثير التغاضب، ويزيل التعاون، ويحدث أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر؛ فيتمكن عدوهم منهم؛ كما قال الله تعالى في يوم أحد: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

٥- والفشل الحاصل بتفرق الكلمة واقع في أي اجتماع للمسلمين في عمومهم وخصوصهم:

فالأسرة المتفرقة لا يستقيم لها حال ما دامت لا تجتمع على رأي واحد: فالزوجان يتفرد كل منهما بقراره، والأولاد ينقسم ولاؤهم لأحد الفريقين؛

فتفسد تربيتهم، وتضيع قيمتهم، ويتسلط عليها أهل السوء.

وأي مؤسسة تتفرق كلمتها؛ بحيث لا تترتب فيها السلطات، ولا تتحدد فيها الصلاحيات، ولا يلتزم أفرادها بالنظام العام؛ فإن أي مشروع ستقيمه سيفشل ويخسر، ويكون ندامة وحسرة لا تنقطع.

وقل ذلك في أي دعوة أو دولة أو أمة، ولذلك حذر رسول الله ﷺ من فساد ذات البين؛ فهي الحالقة للدين، المفسدة للإخوة بين المؤمنين:

ففي حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ؛ قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟»، قالوا: بلى يا رسول الله!، قال: «إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين الحالقة؛ لا أقول: إنها تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»[1].

* * * * *
* * *
*

(١) أخرجه أبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩) وأحمد (٢٧٥٣٦)، وصححه شيخنا الألباني في «الصحيحة» (٢٢٠٣).

قال شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعلينا أن نترفق في دعوتنا المخالفين إليها، وأن نكون مع قوله تبارك وتعالى دائمًا وأبدًا: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ **[النحل: ١٢٥]**.

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-:

الرفق ولين الجانب وخفض الجناح بالقول والفعل مفتاح الداعي إلى الله لدخول عقول المدعوين وقلوبهم؛ لأن الناس بطبائعهم: يمقتون العنف، وينفرون من الفظاظة، ويألفون الرقة والرحمة والرفق؛ وحسبك قول الله تعالى مخاطبًا رسول الله ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فالناس بحاجة إلى قلب رحيم، وكنف رفيق: يسعهم ولا يضيق بجهلهم، ولذلك قيل؛ كما في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للخلال (ص٨٠): «لا يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر؛ إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى».

ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى باتباع أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة مع المخالفين؛ فقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥].

وليس المراد بالرفق واللين: المداهنة؛ بحيث تسكت عن المجاهر بذنبه، ولا

تنكر عليه ولو بقلبك.

بل المراد: أن يكون أسلوب الدعوة بعيدًا عن العنف، بريئًا من الشدة والقسوة؛ ولذا فُسِّر قوله تعالى لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام عندما أمرهما بالذهاب إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾؛ أي: داريا، وارفقا به.

فالمداراة رفق بالجاهل في التعليم، وبعدم الإغلاظ على الفاسق في نهيه عن فعله، والإنكار عليه بلطيف القول؛ تأليفًا له.

وقد أوصى الله أنبيائه بالرفق واللين مع المخالفين، وكذلك أوصى به خاتم النبيين ﷺ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن اليهود أتوا النبي ﷺ؛ فقالوا: السام عليك، قال: «وعليكم»، فقالت عائشة: السام عليكم، ولعنكم الله، وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ: «مهلًا يا عائشة! عليك بالرفق، وإياك والعنف، -أو الفحش-»، قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟! قال: «أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم؛ فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في»[1].

ورغم أن الرفق واللين هو الطريق الأمثل الذي سلكه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله، وحثوا أتباعهم عليه؛ إلا أن هناك أحوالًا يعدل فيها إلى الشدة والقوة والغلظة؛ لإزالة العوائق التي تمنع الاستجابة للدعوة إلى الله، وقد جاءت الآيات مبينة سلوك كلا الطريقين:

قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٠)، ومسلم (٢١٦٥).

بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وفي الوقت نفسه أمر بجهاد الكفار والمنافقين، والقسوة عليهم؛ كما في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣].

وهذا موسى عليه الصلاة والسلام الذي أمره الله بقوله: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه: ٤٤].

يقول لفرعون لما رأى طغيانه وعصيانه وإعراضه: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

وبالجملة؛ فالحكمة أن تكون الدعوة ابتداء بالرفق واللين؛ فإذا حاول مثبور أن يصدها عن المضي في طريقها: فالحكمة دحره وإبعاد شره وفساده؛ لتصل هداية الله إلى الخلق.

فقد كانت حكمة رسول الله ﷺ أن يعطي كل مقام من الرفق أو الغلظة حقه؛ فكان ﷺ رؤوفًا رحيمًا بالمؤمنين، وبمن يرجو إسلامه، وأما الجاحدون ممن انتهكوا حرمات الله، وزاد طغيانهم، وكثر بغيهم؛ فينتقم لله منهم، ويشتد غضبه نصره لله ودينه.

فالدعاة إلى الله على منهج السلف الصالح ينبغي أن يتبعوا الحكمة في تقدير الأمور بقدرها المناسب: دون إفراط ولا تفريط، مراعين أحوال المدعوين وواقعهم وظروفهم، والله المستعان.

****

قال شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأحق من يكون باستعمالنا له أو معه هذه الحكمة هو من كان أشد خصومة لنا في مبدئنا وفي عقيدتنا؛ حتى لا نجمع بين ثقل دعوة الحق التي امتن الله بها علينا وبين ثقل أسلوب الدعوة الى الله عز وجل.

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-:

يشير الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أصل سني؛ وهو: الرحمة بالمخالف، ونزاهة الآليات السلفية في التعامل معه، وذلك بعدم معاملته بالعنف والقسوة والغلظة؛ حتى لا يجتمع عليه ثقل الحق وثقل الأسلوب في طرح الحق أو الدعوة إليه، ولذلك قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

وكان شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوصينا مرارًا وتكرارًا بقوله: «الحق ثقيل؛ فلا تثقلوه أكثر بسوء أخلاقكم؛ كنت أعتقد: أن المشكلة في الأمة مشكلة عقيدة، وتبين لي أنها عقيدة وأخلاق».

وهذا أمر متفق عليه بين أهل العلم؛ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحق إنما كان ثقيلًا في الميزان يوم القيامة؛ لأنه ثقيل على النفوس في دار الدنيا، والباطل إنما كان خفيفًا في الميزان يوم القيامة لخفته على النفوس في دار الدنيا»[1].

وهذا الفهم السلفي تلقاه العلماء عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ:

---

(١) «العذب النمير» (٣/ ٧٢).

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الحق ثقيل مرئ، والباطل خفيف وبيء، ورب شهوة تورث حزنًا طويلًا»[1].

وروى نحوه عن حذيفة بن اليمان، وعلي بن أبي طالب وغيرهما من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ومن أجل ذلك كان هذا الأصل من أصول أهل السنة والجماعة، ومما يميزهم عن أهل البدع والأهواء: فأهل السنة والجماعة يعرفون الحق، ويرحمون الخلق، ويتعاملون مع الناس بما توجبه الشريعة، ويراعون الحكمة والمصلحة، ويلزمون الجماعة، ويتواصون بالحق والصبر والمرحمة: لا تشدد، ولا تنطع، ولا غلو، ولا جفاء، ولا تسيب، ولا انفلات: وسطية إسلامية سلفية، وأخلاق نبوية محمدية؛ فلله درهم، وعلى الله شكرهم.

* * * * *
* * *
*

(١) «حلية الأولياء» (١/ ١٨٣).

قال شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأرجو من إخواننا جميعًا في كل بلاد الإسلام: أن يتأدبوا بهذه الآداب الإسلامية، ثم أن يبتغوا من وراء ذلك وجه الله عز وجل، لا يريدون جزاء، ولا شكورًا.

قال أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-:

يبين شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة وصيته أهمية التربية؛ بدليل: أنه حث طلابه وأصحابه في جميع بلاد الإسلام على التخلق بهذه الآداب، والعمل بهذه الفضائل.

وفي هذا رد على من زعم أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علَّم وما ربى؛ حيث زعم ناشرها: أن الشيخ محدث العصر بحق، ومجدد الدين بصدق، وناشر علوم السلف ومحييها؛ لكنه قصر في الجانب التربوي، ولم يركز عليه، ولم يعطه الوقت الكافي لتربية تلاميذه واتباعه محبيه.

وأسباب انتشار هذه الفرية كثيرة؛ أهمها:

أن جهود الشيخ وجهاده تم إبرازه وإشهاره في مجالات التصفية في جميع ميادين العلم، لكن توجيهاته التربوية بقيت متناثرة في محاضراته وخطبه ومواعظه وكتبه؛ فهي تحتاج إلى جمع وترتيب وتبويب؛ لتكون موسوعة تربوية.

ويدل على اعتناء الشيخ بالتربية أمور؛ منها:

١- جعلها الشق الثاني من شعاره الإصلاحي (التصفية والتربية).

٢- كان الشيخ يغتنم كل فرصه للتربية؛ فأحيانًا تقبل رأسه، وبعد أن يأخذ

الجالسون أماكنهم يبين رحمة الله أن هذه العادة ليست من السنة، ويقول لمن يبالغ في حبه: «لا تجعلوها صوفية!!»، وكان يردد في مجالسة عندما يثني أحدهم عليه: وهل أنا إلا طويب علم! وكان يردد هذه الكلمة كثيرًا.

٣- وكيف يتهم الشيخ بذلك، وهو يقرأ آثار السلف الصالح في التربية؟!

قال ابن سيرين: «السلف كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم».

وهو يحقق كتاب الشمائل المحمدية للترمذي؟

ويدرس ويحقق الأدب المفرد للبخاري؟

ويشرح ويحقق الترغيب والترهيب للمنذري؟

وكلها كتب في التربية الربانية والأخلاق الإسلامية!!

٤- كان شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكرر دائمًا ويقرر باستمرار: أن العلم هو المربي: فإذا لم يكن في الكتاب والسنة تربية وتزكية نبوية؛ فلا نعلم تربية غيرها ولا تزكيه سواها: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٦]، ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥]، لذلك؛ فمن لا يعتبر بالقرآن فلا عبرة له!!

٥- لا ينبغي أن يؤاخذ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بجريرة غيره من المنتسبين له كذبًا وزورًا؛ فإذا وجد في بعضهم ما يعاب عليه؛ فهذا ليس ذنب الشيخ؛ فالشيخ علم ونصح، ووجه وصحح.[1]

ورحم الله شيخنا كم سمعته يردد قول الشاعر:

---

(١) وقد بسطت تفنيد هذه الشبهة في كتابي «تبيين كذب المفتري الجاني على الإمام الألباني» (ص٢٦١-٢٩٢)؛ فانظره غير مأمور.

غيري جنى وأنا المعذب فكأنني سبابة المتندم

وحض شيخنا طلابه وأصحابه في كل العالم على التخلق بهذه الآداب الإسلامية؛ لأهميتها في حياة طالب العلم.

قال يحيى بن معاذ: «من تأدب بآداب الله صار من أهل الجنة».

وقال آخر: «العبد يصل بطاعة الله إلى الجنة، ويصل بأدبه في طاعة الله إلى الله؛ فمن لم يتأدب بالكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة؛ فالحرمان حليفه، والشقاء قرينة».

وحسبك أدب جبريل عليه الصلاة والسلام حينما جاء يسأل الرسول ﷺ عن أركان الدين: تمثل الأدب الجم بجماله، والخلق الأتم لأفعاله، وجلوسه بين يدي رسول الله ﷺ متواضعًا في سؤاله؛ ومنه قال العلماء: الأدب قبل الطلب.[1]

ولذلك قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقله أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب».[2]

ولذا حرص علماء أهل الحديث على تربية أصحابهم وتلاميذهم على الآدب: كان محمد الطنافسي يقول لأصحاب الحديث: «ألا تكونون مثل عيسى بن يونس؛ كان إذا أقبل إلى الأعمش ومعه الشباب والشيوخ ينظرون إلى هديه

---

(١) وانظر تفاصيل هذه الجملة في كتابي: «حلية العالم المعلم وبلغة الطالب المتعلم من حديث جبريل عليه السلام».

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٩).

وسمته».[١]

وكان علي بن المديني وأصحابه يحضرون عند يحيى القطان لا يريدون أن يسمعوا شيئًا؛ إلا أن ينظروا إلى هديه وسمته.[٢]

قال النخعي: «كنا إذا أردنا أن نأخذ عن شيخ سألناه عن مطعمه، ومشربه، ومدخله، ومخرجه، ومجلسه؛ فإن كان على استواء أخذنا عنه، وإلا لم نأته».[٣]

وقال مالك بن أنس: «كانت أمي تلبسني الثياب، وتعممني، وأنا صبي إلى ربيعة، وتقول: تأتي مجلس ربيعة؛ فتعلم من سمته وأدبه قبل أن تعلم من حديثه وفهمه».[٤]

وكان يجتمع في مجلس أحمد بن حنبل زهاء خمسة آلاف ويزيدون: خمسمائة يكتبون، والباقي يتعلمون من حسن الأدب، وحسن السمت.[٥]

وصدق من قال:

ليس اليتيم الذي مات والده إن اليتيم يتيم العلم والأدب

فإن قيل، لم قال الشيخ مخاطبًا السلفيين في كل أنحاء العالم مع أنه ليس شيخ طريقة ولا زعيم حزب ولا أمير تنظيم؟!

فالجواب: السلفيون منهجهم يجمعهم، وعقيدتهم توحدهم، وإن اختلفت

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٤/ ٢٤٦).

(٢) المصدر السابق (٢/ ١٧٥).

(٣) المصدر السابق (١/ ٧٨).

(٤) المصدر السابق (١/ ١٢٠).

(٥) «تاريخ بغداد» (٤/ ٤١٩).

بلدانهم، وتباعدت أقطارهم، فهم جماعة أفهام وأديان، وليسوا جماعة أجساد وأبدان!

قال قوام السنة الأصبهاني[1]؛ مبينًا استمداد أهل الحديث طريقهم ومنهجهم وما أثمر ذلك فيهم من الوفاق والائتلاف، ومبنيًا الفرق بين استمداد أهل السنة واستمداد غيرهم: «ومما يدل على أنه أهل الحديث هم على الحق: أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة، من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم من الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار؛ وجدتهم في باب الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد: يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قلو بهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا، ولا تفرقًا في شيء وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه من سلفهم؛ وجدت كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا!!

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وأما إذ نظرت إلى أهل الأهواء والبدع رأيتهم متفرقين مختلفين، أو شيعًا وأحزابًا، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضًا، بل يرتقون إلى التكفير: يكفر الابن أباه، والرجل أخاه، والجار جاره،

---

(١) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٢٢٤-٢٢٦).

تراهم أبدًا في تنازع وتناقض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

وكان السبب في اتفاق أهل الحديث: أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل؛ فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء؛ فأورثهم الافتراق والاختلاف».

ثم ختم شيخنا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وصيته بالحرص على إخلاص العلم والعمل والدعوة لله عز وجل؛ لأن الإخلاص هو لباب دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وقد كثر كلام السلف الصالح في الحض على الإخلاص، والحرص عليه؛ لأنه طوق الحياة، وقارب النجاة.

قال أبو سليمان الداراني: «طوبى لمن صحت له خطوة واحدة: لا يريد بها إلا وجه الله تعالى».[١]

وقيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؛ قال: «لأنهم تكلموا لعز الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس، وطلب الدنيا، ورضا الخلق».[٢]

وقال أيوب السختياني: «ما صدق عبد قط؛ فأحب الشهرة».[٣]

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان الرجل يكون عنده زوار؛ فيقوم من

---

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ٢٥٤).

(٢) «صفوة الصفوة» (٤/ ١٤٩).

(٣) «حلية الأولياء» (٣/ ٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٧).

الليل يصلي ولا يعلم به زواره، وكانوا يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوتًا، وكان الرجل ينام مع امرأته على وسادة؛ فيبكي طول ليلته وهي لا تشعر».[١]

وقال الشافعي: «وددت أن الناس تعلموا هذا العلم- يعني: كتبه- على أن لا ينسب إلي منه شيء».[٢]

وقال يحيى بن أبي كثير: «تعلموا النية؛ فإنها أبلغ من العمل».[٣]

إن هذه الآثار السلفية تدل على الإخلاص والنية الذي كانوا يتحلون به: فهم لا يعملون لأنفسهم، بل مرادهم رضا ربهم، وظهور الحق، ولذلك؛ فالمخلص لا يبالي لو خرج له كل قدر في قلوب الناس من أجل صلاح قلبه مع الله عز وجل، ولا يحب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من عمله!!

ومسك الختام القول: «المخلص لربه كالماشي على الرمل: لا تسمع خطواته، ولكن ترى آثاره».[٤]

* * * * *
* * *
*

(١) «حلية الأولياء» (٢/ ١٣١-١٣٢).

(٢) «حلية الأولياء» (٩/ ١٩١)، و«مناقب الشافعي» (١/ ١٦٥).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص٨).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٨/ ١٤٤)، و«صفوة الصفوة» (٤/ ٢٢٣).

وصية الإمام الألباني بين يدي الفتن العاصفة

في زمان الفتن حين تتقاذف الأمواج سفن الدعوة، وتختلط الرايات، ويتمايز الناس على غير بصيرة؛ كان لا بد لصوت الحق أن يجلجل، ولنداء الحكمة أن يعلو.

ومن بين تلك الأصوات الصادقة؛ برزت وصية الإمام المجدد، حامل لواء السنة المسدد؛ شيخنا الإمام محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يرفع راية الإسلام والسنة والتوحيد والسلفية فوق أمواج الغربة والضياع.

إنها وصية ليست كلمات عابرة، بل دمعة حارة على واقع أليم، وصرخة أيقاظ وسط سبات مديد.

في هذه العجالة، نقف مع هذه الوصية العظيمة وقفة المتأمل المتدبر، نستخرج منها دروسًا، ونستلهم منها زادًا، مستضيئين بالكتاب والسنة وفهم الصحابة، وعبر التاريخ، ونواميس السياسة الشرعية.

أولًا: المفاتيح الكبرى في وصية الألباني:

١- تقوى الله عز وجل أصل كل فلاح:

أول ما وصى به الإمام؛ هو: تقوى الله: «أوصيهم ونفسي بتقوى الله تبارك وتعالى أولًا».

وهذا إحياء للسنة الكلية التي هي جماع الخير كله؛ فكل فلاح فردي أو جماعي؛ إنما يقوم على تقوى الله؛ كما قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ

مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢و٣].

فالتقوى ليست حالة شعورية، بل منظومة التزام وورع وعمل، تسبق كل مشروع دعوي أو سياسي أو إصلاحي فمن هنا تبدأ النهضة الحقيقية، وينطلق التجديد لهذا الدين.

٢- العلم النافع مفتاح العمل الصالح:

ثم انتقل الشيخ الإمام إلى ضرورة الاستزادة من العلم النافع، مستشهدًا بالآية العظيمة: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

فالترقي في الدين لا يكون بالعواطف الجامحة، ولا بالتحركات المرتجلة، بل بالعلم النافع الذي يبني الفقه والبصيرة، كما قال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[1].

٣- العمل بالعلم: إنقاذ من الحجة القاصمة:

لم يكتف شيخنا الإمام بالدعوة إلى طلب العلم؛ بل شدد على العمل به؛ حتى لا يكون حجة على صاحبه.

وهذا أصل عظيم من أصول السنن الإلهية: أن الحجة إذا لم تتبع بالعمل كانت عذابًا.

قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجمعة:٥].

فالسلفي الحق ليس مكتبة متنقلة، بل قلب عامر بالاتباع، وجسد متحرك

---

(١) أخرجه البخاري (٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بالسمع والطاعة لله ولرسوله.

٤- الحذر من الخروج والانشقاق:

ثم كانت صرخة التحذير الجليل: من الخروج عن جماعة المسلمين، وعن منهج السلف الصالح، والذي سماه الإمام بأنه: «يجمعه كلمة الخروج».

فأي طائفة أو حركة أو دعوة تبني وجودها على نقض وحدة أهل السنة والجماعة؛ فهي مآل إلى خسران مبين، مهما تجملت بالشعارات.

٥- الرفق بالحكمة والموعظة الحسنة:

واختتم شيخنا الإمام وصيته بتأكيد متكرر على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وخص بالذكر أشد المخالفين؛ ليبين أن الدعوة لا تنتصر بثقلها فحسب، بل بلين أسلوبها.

قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥].

ولله دره! كم نرى اليوم دعاة يغرقون دعوتهم بثقل الأسلوب حتى ينفر الناس عن الحق!!

ثانيًا: السنن الإلهية المستنبطة من وصية الألباني:

سنة الفلاح بالتقوى: لا نصر إلا بطاعة الله، مهما علا صياح الداعين إلى المشاريع الأخرى.

سنة العمل بالعلم: العلم المجرد لا يحمي الأمة ما لم يتحول إلى طاعة وسير على الصراط المستقيم.

سنة الوحدة على الحق: التشرذم بداية الهزيمة، والمروق من الجماعة فتنة لا

نهاية لها إلا السقوط.

سنة الابتلاء والفرز: كل دعوة صادقة لابد أن تبتلى؛ حتى تتمكن، والناجون هم الذين يلزمون اللين والحكمة.

سنة التداول الحضاري: الخروج المسلح أو المناكفات الحركية لا تقيم الدول، بل تضيع الأمم.

ثالثًا: الواقع التاريخي شاهد لصحة الوصية:

لما تمسك السلف الصالح بالكتاب والسنة، ولم يشذوا عن الجماعة؛ دانت لهم الأرض من أقصاها إلى أقصاها.

ولما ظهر الخوارج والمنافقون وأصحاب البدع السياسية؛ تفتتت الأمة، وسقطت الدول.

وفي عصرنا المعاصر كانت كل حركة خرجت عن المنهج السلفي، وانحرفت إما في المنهج أو السياسة، قد انتهت إلى كارثة تشهد بها كتب التاريخ الحي.

انظر إلى مصير جماعات التكفير والهجرة والخروج، أو الذين اتخذوا الدعوة مطية للحزبية والمكايدة السياسية.. أين هم اليوم؟

رابعًا: السياسة الشرعية في ضوء وصية الألباني:

ترسيخ السياسة الشرعية لا العصرية: السلفي لا يبني دعوته على تصفيق الجماهير، بل على رضا الله، والالتزام بالكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

الحفاظ على جماعة المسلمين وأئمتهم: حتى مع أخطائهم؛ يكون النصيحة لا الفضيحة، والإصلاح لا الانشقاق.

تقديم الحكمة والموعظة على الصدام: لأن السياسة الشرعية ليست حربًا

دائمة، بل سعي مستمر؛ لإقامة الدين بأحسن السبل.

التحذير من العبث الثوري: لأن الثورات وما ينتج عنها من فوضى كثيرًا ما تكون جسرًا لعدو يتربص، وليس سبيلًا لنصر الإسلام.

خامسًا: الفوائد العملية التي يجب أن يستخلصها السلفيون اليوم:

١- أن لا ينشغلوا بالصراعات الداخلية والمهاترات، بل يشدوا صفوفهم حول الأصول الكبرى.

٢- أن يعيدوا مركزية العلم والتقوى إلى صدارتهم، بدل اللهاث وراء الشعبية، والمناكفات الإعلامية.

٣- أن يحذروا الفتن القادمة، وأن يعلموا أن الغلو في التكفير، أو التقاعس في الدعوة؛ كلاهما خيانة للمنهج السلفي.

٤- أن يجعلوا دعوتهم رحمة للعالمين، لا عذابًا لهم؛ فيكونوا دعاة بالخلق الكريم؛ كما كانوا بالعلم النافع.

٥- أن يستبصروا بسنة الله في النصر والخذلان: النصر ليس لمن يصرخ أعلى، بل لمن يتبع الحق أدق، ويسير على الهدى بصدق.

سادسًا: التحذير من التفرق والاختلاف والنداء إلى الاجتماع:

ما من آية في القرآن أمرت بالفرقة، ولكن عشرات الآيات أمرت بالاجتماع ونبذت التنازع؛ لأن وحدة الصف على الحق شرط للنصر والتمكين، وفرقة الصف أول أبواب الهزيمة، وبداية الانهيار والسقوط والخذلان.

قال الله عز وجل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال أيضًا: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ

عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

إن التفرق عن المنهج السلفي الجامع كسر للصف الإسلامي، وطعنة في ظهر الدعوة، وابتعاد عن السنن الربانية في النصر.

وقد علمنا التاريخ أن كل دولة نشأت على حق؛ لما أصابتها لوثة التفرق والخصومات الداخلية؛ تفككت وسقطت، ولو كانت تملك أقوى الجيوش، وأعتى الأسلحة.

لذلك؛ فإن على السلفيين اليوم أن يتقوا الله في أنفسهم؛ فلا يثيروا الخلافات الصغيرة إلى معارك كبرى، ولا يقدموا المسائل الاجتهادية على وحدة المنهج، ولا يضخموا الزلات البشرية حتى يمزقوا الجماعة.

وإنما يكون شعارهم كما قال النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا».[1]

سابعًا: خطر الركون إلى أهل البدع والتهاون معهم:

وقد نبه شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضمنًا إلى هذا الخطر؛ إذ حذر من «مشاركة الكثير ممن خرجوا عن المنهج السلفي»؛ وهي: إشارة ذكية إلى أن مجرد المجالسة والمهالأة للمخالفين في الأصول؛ تعد خيانة للدعوة السلفية.

قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

إن الركون إلى أهل البدع ليس مجرد ضعف شخصي، بل هو إضعاف للثغر

---

(١) سبق تخريجه (ص ٦٤).

الذي تقف عليه الدعوة السلفية.

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من سمع مبتدعًا ينادي؛ فلم يقل للناس إياكم؛ فقد غش المسلمين»[١].

وعن الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «من جلس إلى صاحب بدعة؛ فاحذروه، ومن مشى إلى صاحب بدعة؛ فقد عصى الله، ومن أكرم صاحب بدعة؛ فقد أعان على هدم الإسلام، ومن سمع مبتدعًا ينادي؛ فلم ينكر عليه؛ فقد خان الإسلام».[٢]

وهناك آثار كثيرة عن السلف في هذا المعنى!

فعلى دعاة السلفية أن يكونوا يقظين:

لا يغتروا بكثرة المخالفين، ولا يفتنوا ببهرجة أهل البدع والأهواء، ولا يميعوا الولاء والبراء؛ بل يقيموا الدعوة على الكتاب والسنة بمنهج السلف الصالح.

يا دعاة السلفية!.. إنها ليست مجرد كلمات نكتبها أو شعارات نرفعها، بل دعوة لحياة جديدة: نحيا فيها مع الله، بالعلم، والعمل، والرفق، والوحدة؛ حتى تعود لهذه الأمة ريادتها.

وصية شيخنا الإمام الألباني اليوم هي صرخة في أذان الغافلين:

---

(١) رواه ابن بطة «الإبانة الكبرى» (١/ ٣٩٧)، واللالكائي «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣٧) وسنده حسن.

(٢) رواه ابن بطة «الإبانة الكبرى» (٢/ ٤٧٥)، واللالكائي «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٣٨).

لا تغتروا بالكثرة، ولا تفتنوا بالتحزبات، ولا تغرقوا في الصراعات، عودوا إلى حيث بدأ السلف الصالح: تقوى، وعلم، وعمل، وحكمة.

وإلا.. فوالله إن الفتن القادمة أعظم مما مضى، ولا يثبت فيها إلا من كان على الجادة الصافية: غير متلون، ولا مذبذب، ولا يبيع دينة بعرض من الدنيا قليل!

فاستفيقوا يرحمكم الله... قبل أن لا ينفع الندم، ولات حين مندم!

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

والله المستعان وعليه التكلان.

* * * * *
* * *
*

سراج الدعوة ومنهاج التربية في وصية الإمام الالباني

في رحاب الدعوة إلى الله تقف الأرواح وقفة الخاشع إذا تجلى الحق، وتشرئب الأفئدة إلى النور كظمآن يطلب الغمامة.

ولقد شاء الله لهذه الأمة أن تبقى موصولة بسلسلة النور من يوم أن أشرق فيها هدى الله برسالة محمد ﷺ حتى يرث الله الأرض ومن عليها؛ فيبعث في كل حين رجالاً يحملون نور الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، يضيئون بها ظلمات البدع والجهالات.

ومن بين هؤلاء الرجال يطلع علينا وجه شيخنا الإمام محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، طلعته طلعة الفجر الصادق: لا غبش فيها، ولا ظلمة تعتريها.

كان شيخنا الإمام الألباني دعوة تتكلم، وحكمة تمشي، وعلمًا يرف بأجنحة الرحمة، وعملاً يتضوع شذاه في طرقات الزمن المتعب.

وقد أوصى رَحِمَهُ ٱللَّهُ وصية نسجت خيوطها من نور العلم، وخفقة القلب، وهمسة الحكمة، وزفرة الغيور؛ فكانت مرآة صافية ترى فيها سبيل السالك، وخارطة جلية يسير عليها دعاة الحق.

هذه الوصية -على قصرها- تضمنت دستورًا كاملًا للدعوة والتربية؛ فجعلت التقوى أساس البناء، والعلم مادته، والعمل به روحه، والرفق جناحيه، والإخلاص سره الباطن.

فدعونا نسير مع هذه الوصية سير المتأمل في بستان الربيع، يقطف من كل زهرة عطرًا، ومن كل غصن ظلًّا، ومن كل نبتة حكمة.

نسير ونحن نستضيء بمشكاة البيان، ونستحلب رحيق المعاني من بين أضلاع الكلمات.

وليس غرضنا مجرد التحليل البارد، ولا الشرح المدرسي الساذج، بل أن نفتح مغاليق هذه الوصية بأقفال الشعور، وأن نعبر من حروفها إلى روحها، ومن ظاهرها إلى لبابها؛ فنجدها تدندن حول معانٍ ثلاثة:

كيف يكون المسلم لله عبدًا قبل أن يكون للدعوة داعيًا.

كيف يحسن بناء نفسه قبل أن يبني غيره.

كيف ينضج عمله على مصباح العلم والتقوى والإخلاص.

فهلم بنا ندخل هذا البستان الوارف، بقلوب مطمئنة، وعقول متيقظة، وأرواح تهمس: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

الركن الأول: تأصيل التقوى قبل كل شيء:

وقف الشيخ الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ على شاطئ الزمن، ولوح للركبان بقوله: «أوصيهم ونفسي بتقوى الله أولًا»: ولم يكن هذا ترتيبًا لفظيًا، ولا تزويقًا خطابيًا، بل كان ترتيبًا فطريًا كما ترتب الأعضاء في الجسد: القلب أولًا، ثم بقية الأعضاء تبعًا.

التقوى عند الشيخ الإمام الألباني ليست شعارًا يرفع، ولا كلمة تردد، بل هي مادة الحياة كلها الذي يشرب منه السالكون، والهواء الذي يتنفسه الدعاة، والنور الذي يهتدون به في الدياجي.

وقد علم الشيخ الإمام أن من أقام البناء بلا تقوى؛ كان كمن بنى قصرًا على

شفير جرف هارٍ، فما أسرع ما ينهد عليه بنيانه، ويأويه السقوط.

ولهذا ابتدأ وصيته بالتقوى، قبل أن يذكر العلم، وقبل أن يذكر العمل، وقبل أن يشير إلى منهج السلف؛ لأن التقوى هي جذع الشجرة، والعلم والعمل ثمرها وأغصانها.

فمن أراد أن يربي نفسه أو يربي غيره، ولم يؤصل شجرة التقوى في تربة قلبه، كان كمن يغرس شجرة في أرض سبخة.

وكانت التقوى عند الشيخ الإمام الألباني سلوكًا ظاهرًا وباطنًا:

في الظاهر: طاعة الله ورسوله ﷺ في الأوامر والنواهي.

وفي الباطن: استحضار نظر الله في كل حركة وسكنة.

فيا من تريد أن تدعو إلى الله، ويا من ترفع راية السنة: اعلم أن أول شروط النجاح ألا تغيب شمس التقوى عن قلبك طرفة عين.

أرأيت السنبلة حينما تمتلئ بالثمر كيف تحني رأسها تواضعًا؟ كذلك الداعي إلى الله حين تستريح روحه بالتقوى تراه مطمئنًا: لين الجانب، رحيمًا، متواضعًا.

الركن الثاني: مركزية العلم النافع:

ثم يمضي شيخنا الإمام الألباني في وصيته؛ كساقي الرحيق المختوم الذي يملأ الكؤوس قطرة قطرة، فيقول: «ثم من الاستزادة من العلم النافع».

وكأنما يريد أن يعلمك أن التقوى وحدها، إذا لم ترو بماء العلم تجف وتذبل، وأن القلب التقي لا يصمد أمام الفتن والمحن؛ إلا إذا تَضلع من ينابيع العلم الصحيح.

لكن أي علم؟

ليس هو العلم الذي يطلب للمراءاة والمجادلة، ولا الذي يقتصر على حفظ المتون، وسرد المصطلحات، ولا العلم الذي يغني صاحبه في المجالس؛ لكنه يتركه جائعاً على أبواب الآخرة.

إنه العلم النافع -كما قال الشيخ الإمام- علم الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

ولقد كان الشيخ الإمام شديد الغيرة على تمييز العلم النافع من العلم الضار، وكان يردد مع سفيان الثوري: «العلم يهتف بالعمل؛ فإن أجابه وإلا ارتحل».[1]

العلم النافع عنده هو الذي يقربك إلى الله خطوة، ويرفعك في رحاب الجنة منزلة ودرجة، ويجعلك ألين قلبًا، وأهدأ نفسًا، وأرحب صدرًا.

وقد فطن الشيخ الإمام إلى أمر عزيز: أن العلم النافع لا ينال بمجرد القراءة، بل ينال بتقوى الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وكأن التقوى والعلم النافع جناحان: لا يحلق القلب إلا بهما معًا.

فاللهم علمًا نافعًا، وتقوى باقية، وعملًا صالحًا زكيًا.

الركن الثالث: العمل بالعلم شرط القبول:

كان الشيخ الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، طبيب قلوب قبل أن يكون طبيب أحاديث؛ فكان يعرف أن العلم الذي لا تثمره الجوارح عملًا، يكون كالطعام الذي لا يهضم، يملأ البطن، ويفسد الجسد.

---

(١) سبق تخريجه (ص ٣٨).

قال في وصيته: «وأن يقرنوا مع علمهم هذا والاستزادة منه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا العمل بهذا العلم حتى لا يكون حجة عليهم، وإنما يكون حجة لهم: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩ ﴾».

وهنا يضرب الشيخ الإمام في أعماق مسألة يغفل عنها كثير من طلبة العلم والدعاة؛ وهي: أن العلم الذي لا يتبعه عمل، ينقلب نقمة على صاحبه يوم القيامة.

كم من قارئ للقرآن والحديث وهو في الحقيقة قارع على باب جهنم؟

وكم من حافظ لمسائل الحلال والحرام قلبه عن الله أعمى؟

وقد كان الشيخ الإمام الألباني يشير دومًا إلى الفرق بين عالم عامل وعالم جاهل بعلمه، وكان يتمثل بالآية: ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ [الجمعة: ٥].

فالعمل عنده برهان العلم، ودليل صدق القلب، ومكيال الوزن يوم يوزن الناس بالأعمال لا بالألقاب.

ثم انظر إلى دقة لفظه: قال «حتى لا يكون حجة عليهم»؛ أي: أن العلم حين لا يعمل به، ينقلب شاهدًا ضد صاحبه لا له؛ فتقوم عليه الحجة.

فيوم القيامة يسأل الله العالم: ماذا علمت مما علمت؟

لا: كم قرأت؟

ولا: كم ألفت؟

بل: ماذا عملت؟

وهكذا كان الشيخ الإمام يربي الدعاة إلى الله على أن يكون علمهم كالسيف في يد فارس ماهر، لا كسيف في يد طفل أخرق.

الركن الرابع: التزام المنهج السلفي دون انحراف ولا إفراط:

ثم عقد الشيخ الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ رباطًا محكمًا، لما قال: «العلم الصالح الذي هو عندنا جميعًا لا يخرج عن كونه كتاب وسنة، وعلى منهج السلف الصالح».

فأراد أن يربط القلب والعقل بأوثق العرى: الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح.

لا نهوض للأمة، ولا نجاة للدعاة، ولا إصلاح للقلوب؛ إلا بأن يبنى كل ذلك على هذا الثلاثي المبارك.

الكتاب: حيث النور الأول.

والسنة: حيث البيان الأكمل.

ومنهج السلف: حيث العلم الأقوم، والفهم الأنور.

وقد كان الشيخ الإمام الألباني شديد التحذير من الغلو ومن التقصير جميعًا؛ فليست السلفية عنده اسمًا يرفع للتعصب أو للفرقة، بل روحًا يتمثلها السالكون، وأدبًا يسيرون به على طريق الجادة.

السلفية عنده:

صفاء العقيدة.

وضوح المنهج.

استقامة السلوك.

ليست دعوة حزبية، ولا شعارًا سياسيًا، ولا مراءاة بين الدعاة، بل استسلام لله في كل صغيرة وكبيرة، وفق فهم السلف الذين لم يسبقوا الأمة إلا بالصدق

والثبات على الحق.

ومن تأمل هذه العبارة في وصيته؛ علم أن الشيخ الإمام كان يرى الدعوة السلفية حياة لا مذهبًا فقط، ومنهجا إصلاحيًا لكل زمان ومكان.

الركن الخامس: التحذير من الخروج والانشقاق:

ثم تتدفق كلمات الشيخ الإمام الألباني كالسيل الجارف: «ثم أحذرهم من مشاركة الكثيرين ممن خرجوا عن الخط السلفي بأمور كثيرة وكثيرة جدًّا: يجمعها كلمة الخروج على المسلمين، وعلى جماعاتهم».

تلك الكلمة التي ذرفت بسببها دماء، وتهدمت بسببها دول، وافتتحت بها أبواب الفتن.

الخروج عند الشيخ الإمام الألباني ليس فقط الخروج المسلح، بل كل خروج عن جماعة المسلمين وسبيل السلف الصالحين: سواء كان بالخروج المنهجي، أو السياسي، أو العقدي، أو الحركي.

لقد علم الشيخ الإمام ما علمه السلف قبله: أن الشيطان إذا أراد أن يهدم أمة لم يبدؤها بالكفر المباشر، بل بالتفريق، والخروج، والفتنة.

وكم من داع ظن نفسه مصلحًا، وهو يقطع أوصال الأمة؟

وكم من حركة رفعت راية الإسلام، وهي تخون الأمة بالخروج عنها؟

ولهذا أمر الشيخ الإمام الألباني بثبات القدم، وصبر النفس، ودوام الدعوة بالحكمة، دون استعجال للخروج، ولا تفريق لجماعة المسلمين.

إنها دعوة الاتزان، والصبر، والعقل، والدعوة الهادئة الحكيمة، لا دعوة الانفعالات، ولا منطق الثورات الشعبية الفوضوية التي لم نزل نكتوي بنار

خريفها العبري!.

الركن السادس: الدعوة بالحكمة والرفق:

ويمضي شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ متوكئًا على عصا الحكمة، هادياً قلوب السالكين، قائلًا: «وأن نترفق دعوتنا المخالفين إليها، وأن تكون دعوتنا دائمًا وأبدًا كما قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]».

وهنا تكشف الوصية عن سر عظيم من أسرار الدعوة: أن الحق إذا طرق ببابه الخشن؛ كرهه الناس، ولو كان أبلج كالشمس.

لقد فهم الشيخ الإمام أن قسوة الأسلوب قد تطمس نور الحق في أعين المدعوين، وأن الكلمة الطيبة تخترق ما لا يخترقه السيف البتار.

وهكذا علمنا أن أسلوب الدعوة جزء من الدعوة، وأن الرفق مفتاح القلوب، كما أن العنف مغلاقها.

وكان الشيخ الإمام يشدد على أن يكون الرفق خاصة مع أشد الناس خصومة؛ كما قال: «وأحق من يكون باستعمالنا معه هذه الحكمة هو من كان أشد خصومة لنا في مبدئنا وعقيدتنا».

لأن اللين عند الشدة قمة الحكمة، ولأن الرحمة عند الخصومة قمة النبل.

يا دعاة الحق! إنه ما دخل العنف في شيء إلا شانه، وما دخل الرفق في شيء إلا زانه.

وإن القلوب إنما تفتح بمفاتيح الحكمة والرفق، لا بمطارق الغلظة.

ولهذا كان شيخنا الإمام الألباني يحذر من دعوة الحق التي تقدم بأسلوب

جاف؛ فتجمع على المدعو ثقلين: ثقل الهداية، وثقل الغلظة؛ فيفر من الدعوة نفسها

الركن السابع: الإخلاص وتجريد النية:

ثم يمضي نور الوصية، حاملاً سراجًا وهاجًا؛ حيث قال شيخنا الألباني: «ثم أن يبتغوا من وراء ذلك وجه الله عز وجل، لا يريدون جزاءً ولا شكورًا».

فانظر إلى جمال هذا الختام؛ كأن الشيخ أراد أن يربط كل أعمال الدعوة، بكل ما فيها من جهد وعناء وصبر، بسلسلة واحدة: الإخلاص لله وحده.

فما قيمة عمل طافت عليه ريح الرياء؟

وما ثمرة جهاد لا يبتغى به إلا الحظوظ والمناصب؟

إن الذي يدعو؛ ليثنى عليه، أو ليكبر في أعين الناس، إنما يدعو إلى نفسه لا إلى الله.

وقد علم الشيخ الإمام من نور السنة: أن أول من تسعر بهم النار: عالم لم يرد بعلمه وجه الله.

فجعل الإخلاص ميزانًا دقيقًا: لا يَخْدع، ولا يُخْدع به.

وقد كان يكرر: «الإخلاص... الإخلاص... الإخلاص»، كما كان السلف يقولون: «ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي»[1].

فالداعي الصادق؛ هو: الذي يعمل في الخفاء كما يعمل في العلانية، يبني عمله

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (١٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٥) من كلام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كمن يبني قصرًا تحت الأرض: لا يراه أحد إلا الله.

الركن الثامن: الجمع بين حق الدعوة وحسن الأسلوب:

وفي لطيفة بديعة أشار شيخنا الإمام الألباني إلى خطر آخر، حين قال: «حتى لا نجمع بين ثقل دعوة الحق التي امتن الله بها علينا وبين ثقل أسلوب الدعوة الى الله عز وجل».

وهذا من أصفى مراتب الفهم في باب الدعوة.

فكثير من الناس يظن أن ثقل القلوب عند سماع دعوته راجع إلى ثقل الحق نفسه، والحقيقة أن الثقل إنما جاء من سوء عرضه لا من جوهر دعوته.

دعوة الحق ثقيلة بما يكفي؛ لأنها تقتضي مجاهدة الهوى، وتكليف النفس.

فإذا جاء الداعي إلى الله، وزاد هذه المشقة بغلظة طبعه، وفظاظة منطقه، وسوء عرضه؛ نفرت القلوب.

ولهذا كان على الداعي إلى الله أن يحسن عرض دعوته؛ كما يحسن تزيين العروس ليلة الزفاف:

فلا يكتم محاسنها.

ولا يقبح محياها.

ولا يعرضها بحماقة.

فما أجمل الحق إذا جاء في ثوب اللطف، وعرض في سوق الرحمة، وأهدي بكلمات الحكمة!

الركن التاسع: التربية على الصبر وطول النفس:

وإن بين سطور وصية شيخنا الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتهادى صوت خافت؛ لكنه

عميق، يهمس: «اصبر، وصابر، واصطبر».

فالتربية عنده تربية صبر:

صبر على الجهلة.

وصبر على المعاندين.

وصبر على طول الطريق.

وصبر على قلة الأنصار.

لم يقلها صراحة؛ لكنه أسدلها تحت كل كلمة.

فليس الطريق مفروشًا بالورود، ولا الأنصار ينتظرون عند كل منعطف، ولا المخالفون يسلمون عند أول مناداة.

ولهذا علم الشيخ الإمام الألباني: أن داعي الله لا يبلغ مبلغ الرجال حتى يتحمل في سبيل دعوته ما يتحمله الغريب في أرض غريبة.

وقد كان يتمثل بالأنبياء، وهم الصفوة: ﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤].

فصبر، وعلَّم الصبر، وربى عليه؛ حتى صار صفة لازمة لدعوته.

الركن العاشر: أثر هذه الوصية على واقع العمل الإسلامي:

ولو أن هذه الوصية قرئت بقلوب واعية، وعقول ناضجة، وطبقت في ميدان العمل الإسلامي؛ لرأينا:

دعوة خالصة لله، لا يخالطها رياء، ولا تشوبها حزبية.

وعلمًا راسخًا بالكتاب والسنة؛ لا يبتغي أهله به إلا وجه الله.

وعملًا دؤوبًا بالعلم لا مجرد شعارات.

ودعوة سلفية سمحة: تجمع، ولا تفرق.

وصبرًا حكيمًا على الأذى والخصومة.

ورفقًا يبلغ القلوب قبل أن تبلغها الكلمات.

ولكن لما غابت هذه الوصية عن سلوك كثير من الدعاة إلى الله؛ رأينا:

تحزبًا ممقوتًا.

وصراعات على الألقاب والمناصب.

وغلًّا في الخطاب ينفر الناس من الحق قبل الباطل.

وقلة إخلاص تفسد العمل، ولو كان عظيمًا في ظاهره.

ولهذا؛ كانت وصية الشيخ الإمام الألباني، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بمثابة طوق نجاة للدعوة في بحر الفتن المتلاطم.

فطوبى لمن التزمها، وسار في ضوء قناديلها، فلم يضل طريقه بين زوابع الزمان.

وهكذا نصل إلى شاطئ هذا النهر المبارك، بعدما سرنا مع وصية الشيخ الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نستقي من معينها الصافي.

رأينا فيها نور التقوى، وعز العلم، وكرامة العمل، وصبر الدعاة، وحكمة المصلحين.

وصية تكتب بماء الذهب، وتحفر على ألواح القلوب لا الأوراق.

فيا طالب الحق! ويا داعي الهداية! دونك هذه الوصية: اجعلها زادك في سفر العمر، ونورك في ليل الفتن، وزمامك في متاهات الطريق.

واذكر دومًا: أن العبرة ليست بكثرة الكلمات، ولكن بما يستقر في القلب، ويثمر في العمل.

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم علمًا نافعًا، وعملًا صالحًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، ودعوة مباركة؛ خالصة لوجهه الكريم.

والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

* * * * *
* * *
*

جناية البدع وأثرها في الماضي والحاضر

فقد أوصى الشيخ الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عموم المسلمين بوصية جامعة مانعة، عبر فيها عن حقيقة جليلة أدركها أئمة السلف وعلماء السنة؛ وهي: أن الانحراف عن منهج السلف لا يكون إلا خروجًا على المسلمين وعلى جماعاتهم، وأن البدع مهما تلونت، وتعددت أسماؤها ومسالكها؛ إنما تؤول إلى مظاهرة للسيف والفتنة والخروج؛ وهي: الخصيصة التي جمعت سائر أهل البدع منذ القرون الأولى حتى هذا الزمان.

وقد قرر الشيخ الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك بقوله: «أحذرهم من مشاركة الكثيرين ممن خرجوا عن الخط السلفي بأمور كثيرة جدًا؛ يجمعها كلمة الخروج على المسلمين وعلى جماعاتهم».

وهذا ليس تعبيرًا حادثًا مبتكرًا، بل هو امتداد لصوت الحق الذي صدع به السلف الصالح، حين بينوا أن أصل كل بدعة إنما هو من معادن الخوارج.

السلف وأصل البدعة: الخروج:

لقد تواتر عن أئمة الهدى آثار عظيمة في بيان أن أهل البدع إنما هم خوارج في حقيقتهم، وإن اختلفت بهم السبل، وتفرقت بهم الأهواء.

قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل كل بدعة وضلالة التشنيع على أهل

الأثر، وأصل الأهواء كلها من الخوارج».[١]

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل أهل الأهواء كلها من الخوارج، وما فيهم إلا وهو يحب السيف».[٢]

وهكذا يظهر أن السلف قد ربطوا بين البدعة والخروج، فكل بدعة هي في حقيقتها شق لعصا الطاعة، ومفارقة للجماعة، وإن خفيت آثارها أول الأمر.

في معنى الخروج ومظاهره:

الخروج عند السلف لا يقتصر على حمل السلاح، بل له صور متعددة:

خروج عقدي: بالانحراف عن أصول الإيمان.

خروج منهجي: بابتداع طرق في الدعوة، والولاء والبراء.

خروج سياسي: بإثارة الفتن، والثورات على الحكام.

وقد أشار الشيخ الإمام الألباني إلى ذلك حين شدد على أن المخالفة لمنهج السلف ليست مجرد خطأ عابر، بل هي خروج حقيقي عن الجماعة.

ومن ثم؛ فإن الذين يخرجون عن الكتاب والسنة ومنهج السلف، ولو تحت شعارات براقة؛ كالإصلاح؛ أو المقاومة؛ أو الحاكمية، فهم في ميزان الشريعة خوارج العصر.

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ٣٧٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ص ١٣٥-١٣٦)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٦-٢٧).

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ٣٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٥).

خوارج العصر: الإخوان المسلمون والسرورية والقطبيون والتكفيريون:

وإذا نظرنا إلى واقع الحركات الإسلامية المعاصرة؛ وجدنا هذا الخروج بالفهم السلفي ينطبق عليها تمام الانطباق:

الإخوان المسلمون: أصلوا للخروج السياسي والمنهجي، فدعوا إلى الثورة والانقلاب، وجعلوا الحاكمية شعارًا للتكفير العملي، ثم رفعوا السلاح علانية في وجه دول المسلمين.

السرورية: لبسوا ثوب السلفية الظاهري؛ لكنهم دسوا السم بالدعوة إلى الخروج العملي والمناورات السياسية، وجعلوا النصيحة الشرعية أداة للتهييج والثورات.

القاعدة وداعش والنصرة: هم الثمرة الخبيثة لهذا المسار؛ حيث حملوا السلاح صراحة، وكفروا الحكومات والشعوب، واستحلوا الدماء؛ كما وصفهم النبي ﷺ بقوله: «يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان»[1].

فكل هذه الحركات تشترك في الأصل الخارجي، وإن اختلفت في الأساليب والمراحل.

شهادة كبار العلماء المعاصرين:

وقد صدع كبار علماء أهل السنة والجماعة بالحكم على هذه الجماعات بأنهم: خوارج العصر:

كأحمد شاكر، والألباني، وابن باز، والعثيمين، وتقي الدين الهلالي، والوادعي،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

والفوزان، وغيرهم رحم الله أمواتهم وحفظ أحياءهم.

دعوة إلى التمسك بالحق والرفق بالمخالفين:

ومع هذه الشدة في بيان الحق كان منهج السلف الصالح قائمًا على الدعوة بالحكمة والرفق بالمخالف، حيث لا تجمع بين ثقل دعوة الحق وسوء الأسلوب، وإنما تبلغ الدعوة برفق وعلم ورحمة؛ كما قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

فالواجب على السائرين على نهج السلف:

الثبات على منهج الجماعة.

والتحذير من البدعة والخروج.

والصبر والرفق في الدعوة.

وطلب وجه الله لا رياء ولا سمعة.

* * * * *
* * *
*

خاتمة رزقنا الله حسنها

يا طالب الحق!

ويا محب السنة!

ويا متشوقًا إلى ميراث النبوة!

هكذا تشرق شموس العلماء، ثم تأفل لتترك في الأفق أنوارًا لا تنطفئ، وهكذا يرحل الكبار بأجسادهم، ولكن أرواحهم تظل ترفرف في سماء الأمة، تهتف بالمخلصين: اثبتوا على الحق، وتمسكوا بالوحيين، ولا تغتروا بزينة الدنيا، ولا تنخدعوا ببريق الباطل.

لقد كان شيخنا الإمام محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ واحدًا من تلك القمم الشامخة التي أقامها الله تعالى حراسًا للوحي، ودعاة إلى التصفية والتربية، ومجددين لمعالم الدين. عاش في القرن الرابع عشر والخامس عشر من الهجرة، لكن صوته كان امتدادًا لأصوات الأئمة الربانيين: يذكرك بابن باز في سكينة الفتوى، وبابن عثيمين في فقه البيان، وبأحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية في قوة الحجة والبرهان.

لم تكن كلماته الأخيرة حروفًا باردة تلقى على عجل، بل كانت دموع قلب يعرف أنه مودع، وأنه يغادر إلى لقاء ربه؛ فجمع فيها عصارة عمره، وأودعها خلاصة تجربته، ثم سلمها للأمة أمانة: أن يظلوا أوفياء للسنة، متمسكين بالعقيدة الصافية، بعيدين عن زخارف الأهواء، ومزالق الطرقات.

كانت نصيحته كالمشكاة؛ فيها مصباح، المصباح في زجاجة، والزجاجة كأنها كوكب دري: يوقد من زيت الإخلاص، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار؛ فمن شاء الهدى؛ فليتأملها، ومن أراد النجاة؛ فليعض عليها بالنواجذ.

رحمك الله يا أبا عبد الرحمن! لقد كنت للعالمين شاهد صدق، ولم تكن لعصر واحد، بل للأمة في كل زمان:

كنت المربي الذي لا يمل من التذكير.

والمعلم الذي لا يكل من البيان.

والعالم الذي لم يحجبه عن الناس كبرياء ولا سلطان.

لقد رأيناك في حياتك مثالًا للعالم العامل:

- لم تنغمس في زخارف السياسة التي تزيف العقول، بل رفعت راية العقيدة والمنهج والسلفية.

- لم تركن إلى أضواء الإعلام التي تخدع الأبصار، بل اخترت الخلوة بين الكتب والمخطوطات.

- لم تسع وراء جاه ولا سلطان، بل كنت كما قال الإمام أحمد: «مع المحبرة إلى المقبرة».

إن الأمة اليوم حين تستذكر وصيتك الأخيرة؛ فإنها لا تبكي رجلًا رحل فحسب، بل تبكي عصرًا من الإخلاص قل فيه المخلصون، وتبكي مدرسة من التربية ندر فيها الصادقون.

ولئن ودعناه جسدًا؛ فإننا لم نودعه علمًا ولا منهجًا؛ فما زال صوته في أشرطته يتردد، وما زال قلمه في كتبه يصدح، وما زال صدقه في قلوب طلابه

الأفياء ينمو؛ كزرع طيب أصله ثابت، وفرعه في السماء.

أيها القارئ! إنني حين أصف هذه الوصية بـ«وصية مخلص وموعظة مودع»؛ فإنني لا أختار كلمات عابرة، بل أستحضر الموقف: شيخ كبير؛ عركته السنون، وأضنته الأسقام؛ لكنه يجمع قوته؛ ليقول كلمة الحق للأمة؛ ليضع آخر بصماته قبل الرحيل.

أليس هذا أبلغ المواقف تأثيرًا في القلوب؟!

تخيله وهو يستحضر لقاء الله؛ فيصفي لسانه من شوائب الجدل، ويعصر قلبه؛ ليستخرج منه أنقى ما فيه، فيقولها نصيحة للأمة: كأنك تراه وهو يسلم الأمانة، ويودع المسيرة، ويرسم لنا معالم الطريق.

لقد أجمع المنصفون على أنه كان مجدد هذا العصر في باب السنة والحديث؛ رد الاعتبار لعلوم الإسناد بعد أن كادت تنسى، وأحيا في الأمة روح التمحيص والتثبت، وربطها مباشرة بالوحيين، وكان مع ذلك مربيًا حكيمًا؛ فما أكثر ما كان يذكر طلابه: «العلم قبل القول والعمل»، وما أعظم ما حذر من التعصب للأشخاص والجماعات، وجعل الولاء والبراء على الكتاب والسنة.

ولئن اختلفت حوله الألسنة؛ فقد أبى الله إلا أن يرفع ذكره، ويجعل أثره خالدًا، فإن «ما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل».

وهذه وصيته الأخيرة لا ينبغي أن تقرأ كحدث تاريخي مضى، بل كرسالة متجددة:

- أن يظل طالب العلم مخلصًا لله، بعيدًا عن الرياء.
- أن يكون العلم منهجًا للتربية، لا مجرد جدل وحفظ.

- أن يربط الناس بالوحيين، لا بالرجال.

- أن يعلم الدعاة إلى الله أن خدمة السنة لا تكون إلا بالتجرد والصبر؛ كما كان الألباني نفسه.

وأخيرًا أيها القارئ الكريم!

تأمل نفسك في مجلس الشيخ الأخير وقد اجتمع حوله طلابه؛ فأنصت واستمع لموعظة مودع غيور، ونصيحة صادق مخلص؛ تتهادى الكلمات بين العاطفة والعلم، وبين العقل والقلب، وبين دموع الفقد وضياء الرجاء.

هذه خاتمة من نفس صادق عاش للحق ومات عليه:

فاللهم اجعل هذه الوصية في ميزان حسناته، واجزه بها عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

اللهم ارفع درجته في عليين، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول؛ فيتبعون أحسنه، وارزقنا العمل بما أوصى به العلماء الربانيون، واجعلنا أوفياء لمنهجهم، على الجادة، لا نزيغ ولا نضل.

رحم الله شيخنا الإمام الألباني؛ فقد كان وصية مخلص ختم بها حياته، وموعظة مودع تركها للأمة؛ لتكون كالمشكاة لمن أراد أن يهتدي.

فليحملها طلابه من بعده راية مرفوعة، وليجعلوها نبراسًا يضيء دروبهم، وليتخذها المسلمون أجمعون ميثاقًا على الصدق مع الله، فإن الأمة لا تبنى إلا على العلم والإخلاص والاتباع.

وهكذا يطوى سجل الكبار، لا بأضواء الدنيا، بل بضياء الوحي، ولا بمديح الناس، بل برضوان الله.

فسلام عليك يا أبا عبد الرحمن! يوم ولدت، ويوم نصحت، ويوم واراك الثرى، ويوم تبعث حيًّا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * * * *
* * *
*

الفهرس

فاتحة القول ٥
خطبة الحاجة واشتمالها على معالم المنهج النبوي في العقيد والتزكية والتلقي ١٠
توجيه الشيخ وصيته لكل مسلم على وجه الأرض ١٤
الوصية بتقوى الله ٢١
الوصية بالاستزادة من العلم النافع ٢٤
تفسير الشيخ للعلم النافع بأنه علم الكتاب والسنة على منهج السلف ٣٣
اقتضاء العلم العمل ٣٦
التحذير من الخروج على جماعة المسلمين ٤١
أهمية الأخوة في الله ٦٤
الرفق بالمخالفين ٦٨
لا تجمع بين ثقل الحق وثقل أسلوب الداعي ٧١
أهمية الآداب الإسلامية ٧٣
وصية الإمام الألباني بين يدي الفتن العاصفة ٨٠
سراج الدعوة ومنهاج التربية في وصية الإمام الالباني ٨٨
جناية البدع وأثرها في الماضي والحاضر ١٠١

خاتمة رزقنا الله حسنها وزيادة ١٠٥
الفهرس ١١١

* * * * *
* * *
*

قريبًا بإذن الله:

الأترجـــــة

في بيان دعوة الإمام الألباني ومنهجه

١٥ جزء

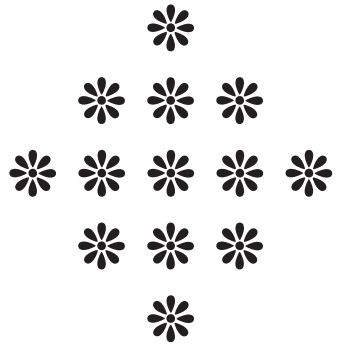

تاريخ الشيخ الإمام

محمد ناصر الدين الألباني

رحمه الله

من أراد طباعتها وتوزيعها لوجه الله تعالى

التواصل والاستفسار واتساب:

+٢٥٥٧٦١٨١٣٣٢٤ ـ +٩٦٢٧٩٥٥١٥٨٠٦

الدكتور سليم بن عيد الهلالي

كلمة مضيئة

هذه وصية عالم عاش للسنة النبوية، ومضى وهو يحييها علمًا وعملاً، ويورثها للأمة منهجًا وبصيرة؛ وصية بالمنهج لا بالأشخاص، وبالحق لا بالكثرة، وبالثبات لا بالعجلة.

إنها كلمات الشيخ الإمام محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، خرجت من قلب امتلأ تعظيمًا للسنة، وصدقًا في الاتباع، وتجردًا في النصيحة، وإخلاصًا لله رب العالمين.

لم تكن وصيته خطاب وداع عاطفيًا، ولا كلمات تقال ثم تنسى، بل كانت ميثاق أمانة يسلم لجيل بعد جيل، يذكرهم بأن طريق النجاة واحد: كتاب يفهم على هدي السلف الصالح، وسنة تنقى من الدخيل، ودعوة تبنى على العلم قبل الحماسة، وعلى الإخلاص قبل الانتشار.

أوصى رحمه الله بالثبات زمن الفتن، وبالعدل عند الاختلاف، وبالصبر على الأذى، وبأن يبقى طالب العلم عبدًا للحق، لا أسيرًا للأسماء ولا تابعًا للحركات؛ فهي وصية إمام مرشد، ومصلح مجدد، وناصح مخلص مسدد، أدرك أن بقاء الدعوة مرهون بصدقها، وأن صلاح الأمة لا يكون إلا بالرجوع إلى الوحيين بفهم السلف الصالح.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه بحبوحة الجنة بمنه وكرمه، وألحقنا به وبالعلماء الصالحين، ونحن ثابتون على الإسلام والسنة: ننفي عنهما تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

والله الموعد .

أكاديمية البلاغ المبين للعلوم الشرعية
www.balaagh.net